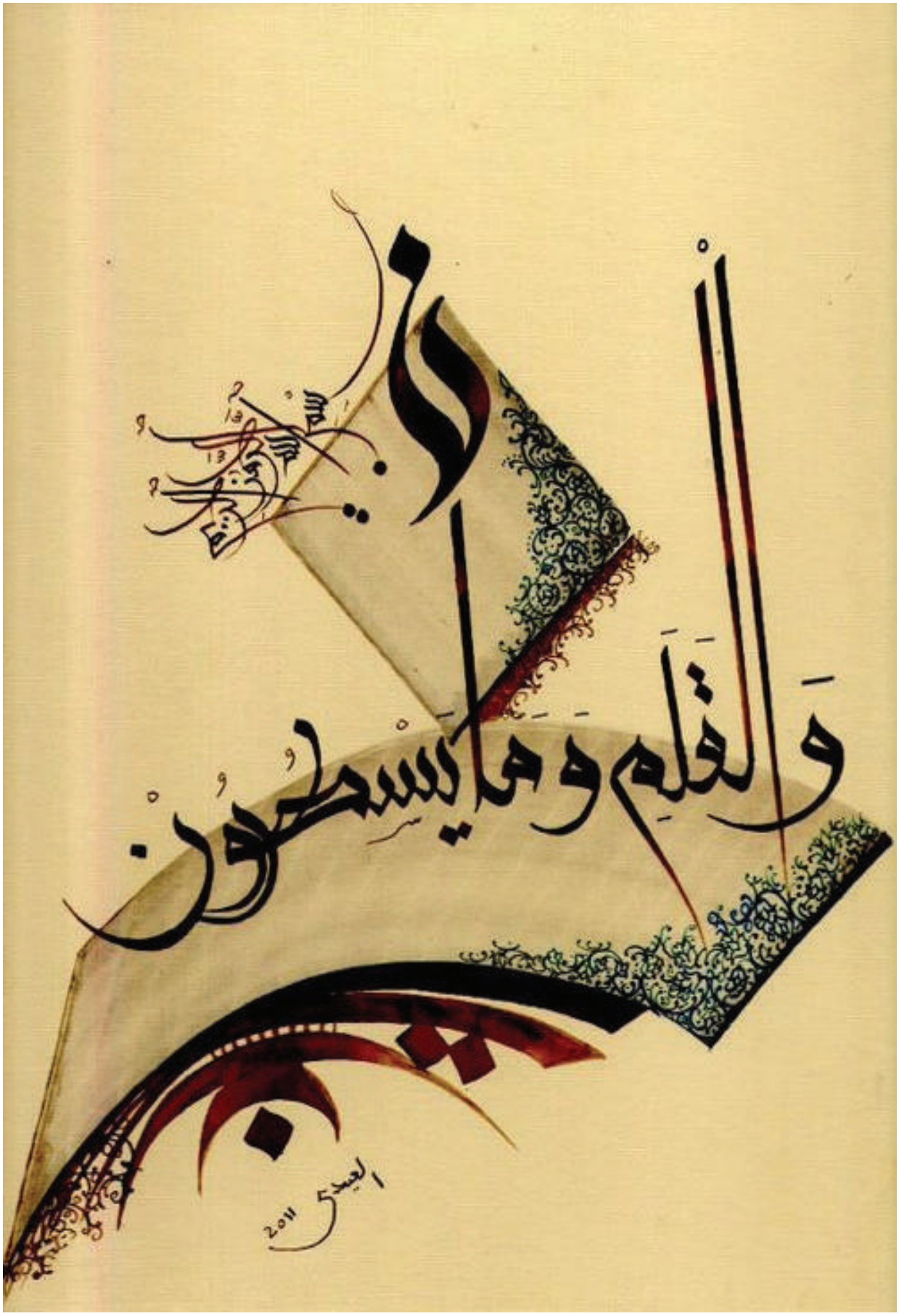
ن
والقلم وما يسطرون

ن والقلم وما يسطرون

بسم الله الرحمن الرحيم

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development

الرقم: ب ت ٤ / ٣٢٢٢
No:

التاريخ: ٠٩-٠٤-٢٠١٤
Date:

٢٠١٤ عام اقتصاد المعرفة

ديوان الوقف الشيعي

م / مجلة والقلم

تحية طيبة..

اشارة الى كتابكم المرقم ١٠٧٤/٤/٣ في ٢٠١٣/٦/٣٠ وآلية اعتماد المجلات العلمية لأغراض الترقية العلمية وبعد استكمال متطلبات ترويج معاملة مجلة (والقلم) الصادرة عن ديوانكم ، حصلت الموافقة على اعتمادها لاغراض الترقية العلمية.

..... مع التقدير

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

أ.د محمود حسين المرسومي
معاون المدير العام للشؤون العلمية
٢٠١٤/٤/٨

نسخة منه الى:
- قسم الشؤون العلمية / شعبة الدائرة والنشر

فصلية مُحَكَّمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد(٥١) السنة العشرون رمضان ١٤٤٧ هـ آذار ٢٠٢٦ م

مجلة والقلم فصلية المُحَكَّمة

تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والفكرية

تصدر من المركز الوطني لعلوم القرءان

ديوان الوقف الشيعي

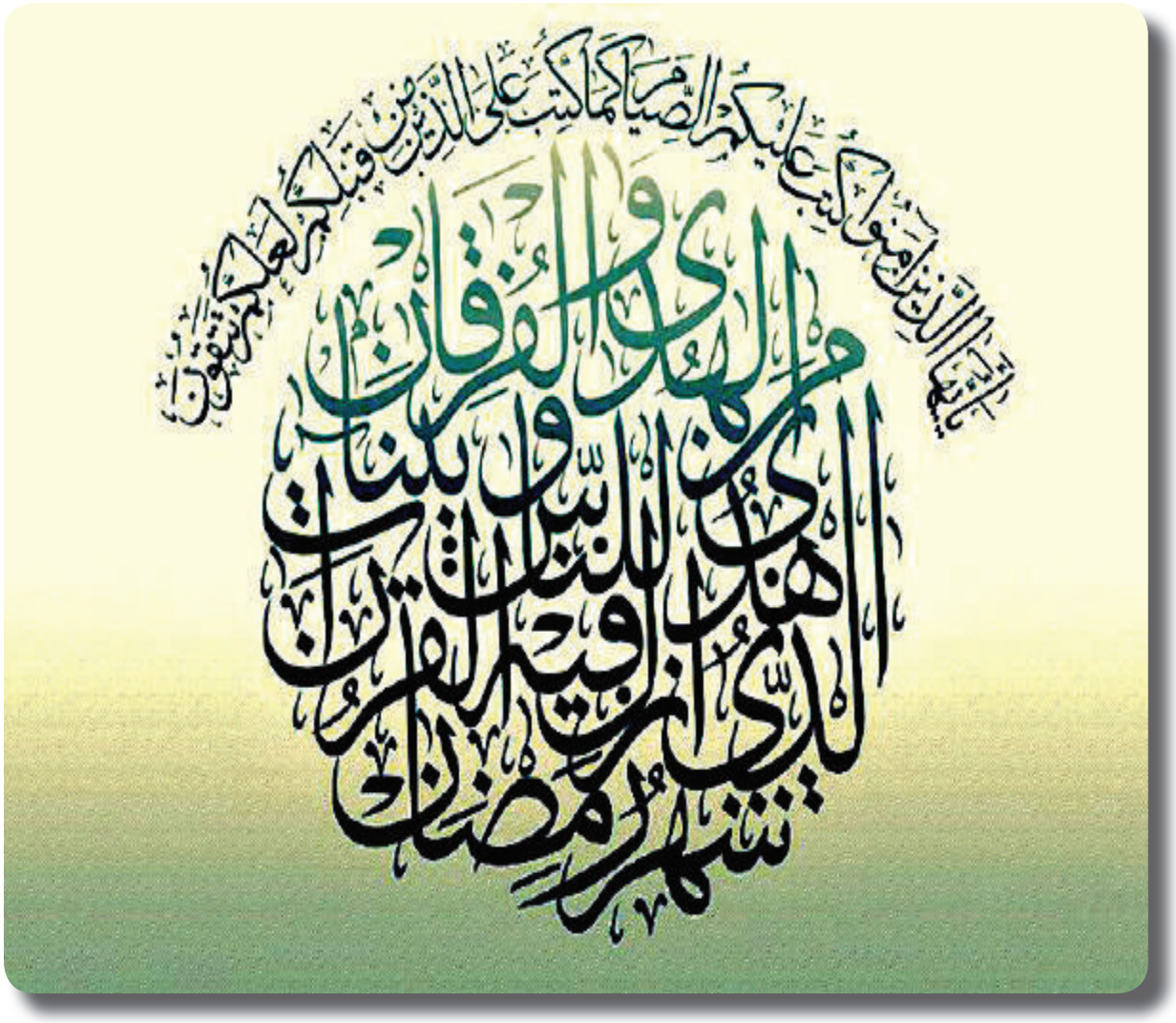

العدد(٥١)
السنة العشرون رمضان ١٤٤٧ هـ آذار ٢٠٢٦ م

فصلية مُحَكَّمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد(٥١) السنة العشرون رمضان ١٤٤٧ هـ آذار ٢٠٢٦ م

مجلة والقلم فصلية المُحَكَّمة

تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والفكرية

تصدر من المركز الوطني لعلوم القرءان
ديوان الوقف الشيعي

الاشراف العام
الاستاذ الدكتور
حيدر حسن الشمري
رئيس ديوان الوقف الشيعي

رئيس التحرير
أ.م.د. رافع محمّد جواد العامري
مدير التحرير
م.د. ميسون حسن صالح الحسيني

هيأة التحرير
أ.د.حيدر عبد الزهرة
أ.د. طلال خليفة سلمان
أ. د .عمر عبدالله نجم الدين
أ.د .حازم طارش حاتم
أ.د.حميد جاسم عبود الغرابي
أ.د. حازم طارش حاتم
أ. د.أركان رحيم جبر
أ. د. محسن عباس حيال
أ.د. مشتاق عباس معن
أ.د.فاضل مذب متعب المسعودي

هيأة التحرير من خارج العراق
أ . د . مها خير بك ناصر
الجامعة اللبنانية / لبنان
أ.د.مصطفى الغرافي
جامعة مولاي اسماعيل / المغرب
أ . د .عماد علي عبد اللطيف علي
جامعة قطر/كلية الآداب والعلوم
أ . د .محمّد رضا ستودة نيا
جامعة اصفهان/إيران
أ.م.د.ملاك حاتم طفيلي
الجامعة اللبنانية

فصلية مُحَكّمة تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية العدد العدد(٥١) السنة العشرون رمضان ١٤٤٧ هـ آذار ٢٠٢٦ م

فصلية مُحَكّمة تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية العدد(٥١) السنة العشرون رمضان ١٤٤٧ هـ آذار ٢٠٢٦ م

الرقم المعياري الدولي

2617 –419x

رقم التصنيف الالكتروني

26042

رقم الاعتماد

في نقابة الصحفيين العراقيين

١١٣/ لعام ٢٠٠٥

العنوان الموقعي

جمهورية العراق

بغداد / شارع فلسطين

قرب نادي الأخاء التركماني

المركز الوطني لعلوم القرءان

الاتصالات

مجلة والقلم المُحَكَّمَة

٠٧٧٠٧٩٣٥٩٧١

:Email

alwatnywalqalam@gmil.Com

صندوق بريد / ٣٣٠٠١

دليل المؤلف.....

١–إن يتسم البحث بالأصالة والجدة والقيمة العلمية والمعرفية الكبيرة وسلامة اللغة ودقة التوثيق.

٢– إن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:

أ. عنوان البحث باللغة العربية .

ب . اسم الباحث باللغة العربية . ودرجته العلمية وشهادته.

ت . بريد الباحث الإلكتروني.

ث . ملخصان أحدهما باللغةِ العربية والآخر باللغةِ الإنكليزية.

ج . تدرج مفاتيح الكلمات باللغة العربية بعد الملخص العربي.

٣–أن يكونَ مطبوعًا على الحاسوب بنظام(office Word) ٢٠٠٧ او ٢٠١٠) وعلى قرص ليزري مدمج (CD) على شكل ملف واحد فقط (أي لا يُجزَّأ البحث بأكثر من ملف على القرص) وتُزوَّد هيأة التحرير بثلاث نسخ ورقية وتوضع الرسوم أو الأشكال، إن وُجِدت، في مكانِها منَ البحثِ، على أن تكونَ صالحةً مِنَ الناحيةِ الفنيَّة للطباعة.

٤–أن لا يزيدَ عدد صفحات البحث على (٢٥) خمس وعشرين صفحة من الحجم (A٤).

٥. يلتزم الباحث في ترتيب وتنسيق المصادر على الصغية APA

٦–أن يلتزم الباحث بدفعِ أُجُور النشر المحدَّدة البالغة (٧٥،٠٠٠) خمسة وسبعين الف دينار عراقيّ، أو ما يعادلها بالعملات الأجنبية.

٧–أن يكونَ البحثُ خاليًا مِنَ الأخطاءِ اللغوية والنحوية والإملائيَّة.

٨–أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامِها على النحو الآتي:

أ. اللغة العربية: نوع الخط (Arabic Simplified) وحجم الخط (١٤) للمتن.

ب . اللغة الإنكليزية: نوع الخط (Times New Roman) عناوين البحث (١٦). والملخصات (١٢). أما فقرات البحث الأخرى؛ فبحجم (١٤) .

٩–أن تكونَ هوامش البحثِ بالنظام التلقائي (تعليقات ختامية) في نهاية البحث. بحجم ١٢.

١٠–تكون مسافة الحواشي الجانبية (٢,٥٤) سم والمسافة بين الأسطر (١) .

١١–في حال استعمال برنامج مصحف المدينة للآيات القرآنية يتحمل الباحث ظهور هذه الآيات المباركة بالشكل الصحيح من عدمه، لذا يفضل النسخ من المصحف الالكتروني المتوافر على شبكة الانترنيت.

١٢–يبلَّغ الباحث بقرارِ صلاحيَّة النشر أو عدمها في مدَّةٍ لا تتجاوز شهرين من تاريخ وصولهِ إلى هيأةِ التحرير.

١٣–يلتزمُ الباحث بإجراءِ تعديلات المحكّمين على بحثهِ وفق التقارير المرسلة إليهِ وموافاةِ المجلة بنسخةٍ مُعدَّلةٍ في مدَّةٍ لا تتجاوزُ (١٥) خمسة عشر يومًا.

١٤–لا يحق للباحث المطالبة بمتطلبات البحث كافة بعد مرور سنة من تاريخ النشر.

١٥–لاتعاد البحوث الى أصحابها سواء قبلت أم لم تقبل.

١٦–دمج مصادر البحث وهوامشه في عنوان واحد يكون في نهاية البحث، مع كتابة معلومات المصدر عندما يرد لأول مرة.

١٧–يخضع البحث للتقويم السري من ثلاثة خبراء لبيان صلاحيته للنشر.

١٨–يشترط على طلبة الدراسات العليا فضلاً عن الشروط السابقة جلب ما يثبت موافقة الاستاذ المشرف على البحث وفق النموذج المعتمد في المجلة.

١٩–يحصل الباحث على مستل واحد لبحثه، ونسخة من المجلة، وإذا رغب في الحصول على نسخة أخرى فعليه شراؤها بسعر (١٥) الف دينار.

٢٠–تعبر الأبحاث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها لا عن رأي المجلة.

٢١–ترسل البحوث على العنوان الآتي: (بغداد – شارع فلسطين المركز الوطني لعلوم القرآن)

أو البريد الألكترونيّ: (Dmaysoonalhusainy@gmail.com) بعد دفع الأجور في الحساب المصرفي العائد إلى الدائرة.

٢٢–لا تلتزمُ المجلة بنشر البحوث التي تُخلُّ بشرطٍ من هذهِ الشروط .

مجلة والقلمفصلية مُحَكّمة تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والفكرية
تصدر عن المركز الوطني لعلوم القرآن/ ديوان الوقف الشيعي

المحتوى

العدد(٥١) السنة العشرون رمضان ١٤٤٧ هـ آذار ٢٠٢٦ م

ت	عنوانات البحوث	اسم الباحث	ص
١	الإمامة في ضوء التفسير المنهجي للقرآن العظيم لمحمد حسين الصغير	إيمان علي عزت أ.د آمال خلف علي	١٠
٢	التأثيرات الإيجابية للجِنّ على الإنسان	الباحث: علاء نعمه ناصر أ.م.د جاسم مزعل لفته	٢٦
٣	الدكتور يحيى الجبوري ودوره في قراءة التعالقات النصية القرانية في شعر النعمان بن بشير الانصاري	أ.م.د. محمود أحمد شاكر	٣٦
٤	التضافر التكويني للأساليب النحوية في أشعارالنساء من العصر الجاهلي إلى نهاية العصر الأموي (دراسة في البنية والدلالة)	الباحثة: هدى نجاة رشيد أ. د.حيدر عبد الزهرة هادي	٤٦
٥	أثر إحالة الضمير في المقابلة النصية في الربط الشكلي والمعنوي	الباحثة:زهراء حيدر لفتة أ.د.مُحمّد عبد الرضا فيّاض	٦٤
٦	الخِلافُ النَّحويّ في توجيهِ الأسماء عند اللُّوْرَقيّ، والرَّضيّ في شرح الرضيّ على الكافية	الباحثة:فاطمة أحمد غضبان أ.د مالك حسن عبد الله	٧٤
٧	منهج الامام الكاظم (عليه السلام) في اثبات العقيدة	الباحث:عادل جبر محمود أ.م.د.ماجد حميد كصاب	٩٠
٨	محمد علي الحائري السنقري النشأة، والمسيرة العلمية، وآثاره الفكرية	الباحثة:مريم باسم كامل أ.م.د الهام طابور غضب	١٠٦
٩	التضمين البلاغي لأقوال الإمام علي (عليه السلام) في شعر المتنبي	أ.م.د. بلاسم حسن حمادي	١٢٤
١٠	الحقائق العلمية وأثرها في الاجتهاد الفقهي المعاصر «موت الدماغ انموذجاً»	الباحثة: زينب ثامر عباس أ.د.مسلم كاظم الشمري	١٤٦
١١	السيميائية في القرآن الكريم سورة القمر انموذجاً	م.د. أثمار محمد عبد الرحيم	١٦٢
١٢	روافد الصورة الشعرية في حماسة الفتوح الإسلامية	الباحثة:هبة حسن علي أ.م.د زينب خليل حسين	١٨٠
١٣	تلف المبيع عند الخيار« دراسة فقهية قانونية»	أ.م.د. محسن عباس حيال	١٩٨
١٤	العلل المبنية على اختلاف الفهم لا اختلاف الرواية دراسة حديثية نقدية في منهج النقاد المتقدمين	م. د زهراء احمد حسين	٢٢٠
١٥	بلاغة اسلوب المعاني في القران الكريم	م. د. انوار جاسم عويد	٢٢٨
١٦	بناء الزمن الروائي في رواية (حديقة حياة)للكاتبة لطفية الدليمي	م. د. عبد الرزاق جبار سلمان	٢٤٠
١٧	الدّلالةُ البلاغيّةُ لعبارة (قل يا عبادي) في القرآن الكريم دراسة في ضوء سياقيّ الحذف والإضمار	م. د. نعمة حسين مفتاح	٢٥٦
١٨	القيود التركيبية المفروضة وأثرها في تحديد الأدوار المحورية في آيات الدعوة والاستجابة	م.د سارة كاظم عبد الرضا	٢٦٨
١٩	فن التشبيه بين تحليل الجرجاني وتحليل Chat GPT دراسة مقارنة	م.د. حوراء ابراهيم جاسم	٢٨٦
٢٠	علة الإشعار قراءة نحوية تطبيقية في كتاب نتائج الفكر للسهيلي	م.د. سمراء كاظم منصور	٢٩٨
٢١	المنهج الأصولي للشيخ مرتضى الأنصاري في كتابه فرائد الأصول	م. د. سناء خضير محمد	٣١٤
٢٢	آليات الاتساق النصي في القصص القرآني (قصة موسى (عليه السلام)والعبد الصالح أنموذجاً)	م.د. سهام قنبر علي	٣٢٦
٢٣	التمكين الاقتصادي للمرأة في ضوء الرؤية القرآنية	م.د. منى ابراهيم جلود	٣٤٤
٢٤	الإشارات العلمية في القرآن الكريم دراسة لغوية تحليلية	م.م عقيل عودة حسان	٣٥٦
٢٥	سياق الوقف فى تفسير مجمع البيان للفضل الطبرسي	م.م.محمد ستار مصلح	٣٧٤

مجلة والقلم
فصلية محكمة تعنى بالبحوث والدراسات
الإنسانية والفكرية
التضمين البلاغي لأقوال الإمام
علي(عليه السلام) في شعر المتنبي
أ.م.د. بلاسم حسن حمادي الخفاجي
جامعة الإمام الصادق«عليه السلام»كلية التربية
تصدر عن المركز الوطني لعلوم القرآن
ديوان الوقف الشيعي

المستخلص:
يتناول هذا البحث التضمين البلاغي في شعر المتنبي من خلال مقارنة بعض أبياته بأقوال الإمام علي (عليه السلام)، مستكشفاً كيفية تأثُّر الشاعر بأفكار الحكماء وبلاغة الإمام.
وقد بيَّن البحث أن العلاقة بين التأثُّر والتأثير تكاملية، إذ تتيح للشاعر استلهام المعاني وتوظيفها بأسلوبه الخاص دون فقدان أصالته.
كما عرض البحث أنواع التضمين المباشر والتحويري والإشاري، موضحاً دورها في إثراء النص الشعري وتعميق الدلالة البلاغية.
وخلص الى أن تضمين المتنبي لأفكار الإمام علي (عليه السلام) يعكس وعيه البلاغي وقدرته على مزج الفكرة بالحس الشعري، مما يجعل شعره جسراً بين الحكمة والفن.
الكلمات المفتاحية:التضمين البلاغي، المتنبي، الامام علي، النقد البلاغي

Abstract:
This research deals with rhetorical inclusion in Al-Mutanabbi's poetry by comparing some of his verses with the sayings of Imam Ali, peace be upon him, exploring how the poet was influenced by the ideas of the wise men and the eloquence of the Imam.
The research showed that the relationship between being influenced and being influenced is complementary, as it allows the poet to draw inspiration from meanings and employ them in his own style without losing his originality.
The research also presented the types of direct, transformative, and indicative inclusion, explaining their role in enriching the poetic text and deepening the rhetorical meaning.
It concluded that Al-Mutanabbi's inclusion of Imam Ali's ideas reflects his rhetorical awareness and his ability to blend ideas with poetic sensibility, making his poetry a bridge between wisdom and art.
Keywords:Rhetorical allusion – Al-Mutanabbi – Imam Ali – Rhetorical criticism

المقدمة:
يُعدُّ التراث العربي بمكوناته الفكرية والبلاغية والدينية من أهم المنابع التي أسهمت في تشكيل الخطاب الشعري العربي، ولاسيما في العصر العباسي حيث بلغ التفاعل بين الموروث والابتكار ذروته.
وقد اسفر هذا التفاعل عن علاقة جدلية قوامها التأثُّر والتأثير، أسهمت في استمرارية الإبداع وتجدد أشكاله، وجعلت من النص الشعري فضاءً حوارياً يُعاد فيه إنتاج المعنى الموروث ضمن بنية جديدة.
وتُعدُّ ظاهرة التضمين البلاغي من أبرز الآليات الأسلوبية التي تجلت من خلالها هذه الجدلية، إذ يقوم الشاعر بإدماج معانٍ موروثة في نسيج نصه إدماجاً فنياً يحقق التكثيف الدلالي والإيحاء الجمالي، من دون أن يُفقد النص استقلاله.
ويبرز أبو الطيب المتنبي في هذا السياق بوصفه من أكثر شعراء العربية قدرةً على توظيف الموروث، ولاسيما الحكم والمقولات ذات البعد الإنساني، وفي مقدمتها أقوال الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) لما تنطوي عليه من كثافة فكرية وبلاغية راسخة في الوعي التفافي العربي.

وعلى الرغم من كثرة الدراسات التي تناولت شعر المتنبي، فإن التضمين البلاغي لمعاني أقوال الإمام علي (عليه السلام) لم يُدرس دراسةً نقديةً تحليليةً تكشف آلياته الفنية، وتُميّز بين أنواعه، ولاسيما التضمين المباشر، والتحويري، والإشاري.

ومن هنا تتحدَّد مشكلة البحث في الكشف عن كيفية إعادة المتنبي صياغة هذه المعاني داخل نصه الشعري، وما أضافه إليها من أبعاد دلالية وجمالية، في أطار جدلية التأثُّر والتأثير.

ويأتي هذا البحث ليسلط الضوء على التضمين البلاغي في شعر المتنبي، مع التركيز على تضميناته من أقوال الإمام علي (عليه السلام)ن من خلال قراءة نقدية دقيقة.

وقد أرفق هذا التحليل بالنقد البلاغي الذي يبيّن كيف استخدم المتنبي التضمين لتعزيز المعنى الشعري وإظهار قدرته على التأثير الفني، مع توضيح الأساليب البلاغية المختلفة؛ كالاستعارة، التورية، والمبالغة، وكيف ساهمت في إبراز العلاقة بين المعنى والبلاغة.

وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، مستعيناً بأدوات المنهج البلاغي النقدي، مع الإفادة من المنهج المقارن في حدود ما يخدم التحليل.

واتخذ الباحث من كتاب « مائة شاهد وشاهد من معاني كلام الإمام علي (عليه السلام) في شعر أبي الطيب المتنبي لمؤلفه السيد عبد الزهراء الحسيني»، مادةً أساسية للدراسة، أُخضعت لقراءة نقدية تحليلية لا تكتفي بإثبات التأثُّر، بل تسعى الى الكشف عن آليات التضمين البلاغي ووظائفه الفنية.

واقتضت طبيعة البحث أن يُقسَّم الى توطئة ومبحث تطبيقي وخاتمة؛ خُصِّصت التوطئة لبيان جدلية التأثُّر والتأثير، وتحديد مفهوم التضمين البلاغي وأنواعه، مع إضاءة على بلاغة الإمام على (عليه السلام) وتأثُّر المتنبي بأفكار الحكماء وبلاغته، في حين عُنِيَ المبحث التطبيقي بتحليل نماذج شعرية مختارة وجاءت الخاتمة لعرض أبر النتائج المتحصِّلة.

• توطئة:

جدلية التأثر والتأثير لتضمين الحكمة في شعر المتنبي.

إن العلاقة بين مفهومي التأثر والتأثير علاقة تكاملية تفضي الى استمرارية عملية الإبداع وتجددها، لأنهما يعدَّان من أهم قوانين التفاعل الوجداني بين الأنا والآخر، فالتأثيرُ إرسالٌ والتأثرُ استقبالٌ.

وفي موضوعات الفكر والأدب، يتبلور هذا التفاعل والتداخل بين الحكماء والشعراء فيحدثان أثراً عميقاً وجميلاً في المتلقي رغم اختلافهما في الأدوات؛ هذا بعمق المعنى، وذاك بجمال اللفظ، فيثمران تراثاً حضارياً متجدِّداً يمتزج فيه الفكر الراقي بالصورة الشعرية البديعة.

التأثر والتأثير لغة:

يأتي التأثُّر والتأثير في اللغة بألفاظ ومعان متقاربة؛ كالانفعال والانطباع وإحداث التغيير، فالتأثُّر من الفعل «أثَرَ» أي أحدثَ أثَراً في الشيء (أثَرَ، يأثُر..، تأثَّر الشيءَ: تتبَّع أثره. تأثَّر الشاعر بمن سبقه: سار على نهجه أو تطبَّع به، جعل منه أثراً فيه..، تأثُّر [مفرد] مصدر تأثَّرَ/ تأثَّرَ بـ/ تأثَّرَ لـ/ تأثَّرَ من. رقَّة الحِس. تأثير [مفرد] مصدر أثَّرَ بـ/ أثَّرَ على/ أثَّرَ في، نفوذ، قدرة على إحداث أثر قوي، تحرُّك المشاعر أو اهتزازها..، تأثير أديب أو تيار أدبي على آخر)(١)، وهذا يعني أن التأثُّر هو استجابة داخلية من المتلقي إزاء فعل أو قول، والتأثير هو إحداث التغيير في الغير أي فعل المؤثِّر فيه، وجاء في لسان العرب (والتأثير: إبقاء الأثر في الشيءِ. وأثَّرَ في الشيءِ: تركَ فيه أثراً)(٢).

التأثر والتأثير اصطلاحاً:

التأثُّر هو ما يطرأ على المتلقي من استجابة؛ فكرية، أو جمالية.. نتيجة تعرضه لفكر أو عمل أدبي أو غيرهما يغيران

في رؤيته وأسلوبه، أما التأثير فهو عمل يدخل في الوعي أو اللاوعي لدى المفكر أو المبدع الذي يترك أثراً في وجدان المتلقي وفكره أو سلوكه، فتنتقل السمات الفكرية أو الجمالية بين نتاجهما، فيكون التأثير هو العلة والتأثُّر هو المعلول في وجود العمل الآخر بالمحاكاة أو الاقتباس أو التضمين.

التضمين لغة:

جاء في لسان العرب (ضمن الضَّمِينُ: الكَفِيلُ. ضَمِنَ الشيءَ وبِهِ ضَمْناً، وضَمَاناً: كَفَل به، وضَمَّنَه إياه: كَفَّلَه..، وضَمَّنَ الشيءَ الشيءَ: أودعه إياه، كما يودع الوعاءَ المتاعَ والميتَ القبرَ..، الليث: كلُّ شيءٍ أُحرِزَ فيه شيءٌ فقد ضُمِّنَه)(٣) .

التضمين اصطلاحاً:

هو (أن يضمِّن الشعر من شعر الآخرين، مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء)(٤)، أو يضمنه حِكما أو أمثالاً أو أقوالاً مأثورة ليعطيه رونقاً وقوة، وهو قائم على استعارة معنى من الآخرين وضمَّه الى قصيدة يندرج ضمن سياقها(٥).

فالتضمين إذاً هو قصد الشاعر الى نصٍ من غيره، فيضمنه في آخر شعره أو في وسطه، ويكون على ثلاثة أنواع: المباشر؛ وهو التضمين باللفظ والمعنى مثلما ورد في النص الآخر، والغير مباشر؛ وهو تضمين يستنتج استنتاجاً من النص لأنه تضمين للأفكار والرؤى تضميناً روحياً، فيأتي بمعنى النص الآخر مع تقديم أو تأخير لألفاظه فيسمى بالتضمين التحويري، والنوع الثالث هو التضمين الإشاري الذي يشير الى المعنى من غير استخدامٍ لألفاظ النص الآخر، أي تضميناً روحياً لا حرفياً، فالنص يفهم من خلال تلميحاته وإيماءاته وشفراته وترميزاته(٦).

وللتضمين بعدٌ دلالي؛ فعندما يضِّمن الشاعرُ كلامَ غيره بنصه إنما هو دلالة على التفاعل بين أجزاء التاريخ الفكري والروحي للإنسان، وعند امتداد هذه التضمينات تبزغ أصوات آخرين لا يتكلمون بلغته ولا يربطه بهم سوى رابطة الثقافة الإنسانية(٧)، بإرثها المتعددة الأبعاد والاتجاهات.

والشعر ليس بمعزلٍ عن التأثر والتأثير، و (ليس صدفة أن يكون كبار الشعراء في جميع العصور والآداب من ذوي الثقافة الواسعة، فلكي يتفرد الشاعر بصوته وينحت خصوصيته لابد أن يكون متشبِّعاً بثقافات عصره والعصور التي سبقته)(٨) .

وعليه فالشاعر يتأثر بتجارب المجتمع وثقافاته المتعددة، ويؤثر بتجربته على أفراد مجتمعه من خلال نصه الشعري، الذي لم يأتِ من العدم بل هو مجموعة نصوص قرأها لمؤلف ما ثم ابتدع نصاً يشبهها جميعاً غير أنه يتفرد عنها من خلال هذا التشابه، مما يجعل من النص ملتقى لأكثر من زمن ومن فكرة «دينية، تاريخية، أو فلسفية»(٩).

حِكَم وأقوال الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام).

امتاز كلام الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بالفصاحة والبلاغة والبيان في خطبه ورسائله وحكمه، وامتازت بلاغته بالمعاني العميقة والأساليب البليغة من التشبيه والاستعارة والمؤثرة بكل إيضاح وإيجاز، فلا يطيل في الكلام إلا لحاجة، وتنوعت أساليب كلامه؛ فمنها وعظي، ومنها جدلي، ومنها حكمي..، يجمع فيه بين الترغيب والترهيب في عدة موضوعات؛ كالتوحيد والعدل، التقوى والإيمان، الفضائل ومحاسن الأخلاق، الدنيا والآخرة، الموت والقبر، الجنة والنار..، تجد فيه صدقه وإخلاصه وزهده في هذه الدنيا..، فامتاز كلامه سلام الله عليه بالقوة والتأثير؛ حتى قيل (كلامه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين)(١٠) .

وجاء في مقدمة نهج البلاغة للسيد الشريف الرضي، قوله: (إذ كان أمير المؤمنين (عليه السلام) مَشْرَع الفصاحة وموردها، ومنشأ البلاغة ومولدها، ومنه (عليه السلام) ظهر مكنونها، وعنه أُخِذَتْ قوانينها، وعلى أمثلته حذا كل قائل خطيب، وبكلامه استعان كل واعظ بليغ، ومع ذلك فقد سبق وقصَّروا، وتقدَّم وتأخَّروا، لأن كلامه

(عليه السلام) الكلام الذي عليه مسحةٌ من العلم الإلهي، وفيه عبقةٌ من الكلام النبوي)(١١)، وكان عبد الحميد بن يحيى العامري (المقتول سنة ١٣٢هـ) كاتباً لمروان بن محمد آخر الخلفاء المروانيين، وقد تحدَّث البعض عن أن فن الكتابة بدأ مع هذا الرجل، وقد نُقل عنه قوله: حفظتُ سبعين خطبة من خطب الأصلع، ففاضت ثم فاضت(١٢).

كما أن ابن نباته عبد الرحيم بن محمد بن اسماعيل (٣٣٥– ٣٧٤ هـ) الذي تسنَّم منصب الخطابة في عهد سيف الدولة في مدينة حلب، يقول: حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيده الانفاق إلا سعة وكثرة، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب(١٣).

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه لنهج البلاغة (وإني لأطيل التعجب من رجل يخطب في الحرب بكلام يدل على أن طبعه مناسب لطباع الأسود، ثم يخطب في ذلك الموقف بعينه إذا أراد الموعظة بكلام يدل على أن طبعه مشاكل لطباع الرهبان الذين لم يأكلوا لحماً ولم يريقوا دماً، فتارة يكون في صورة بسطام بن قيس، وتارة يكون في صورة سقراط والمسيح ابن مريم الإلهي، وأقسم بمن تقسم الأمم كلها به لقد قرأتُ هذه الخطبة [رقم ٢١٦ من نهج البلاغة(١٤)، والتي تبدأ بـ: يا له مراماً ما أبعده..] منذ خمسين سنة والى الآن أكثر من ألف مرة، ما قرأتها قط إلا وأحدثت عندي روعة وخوفاً وعظة، آثرت في قلبي وجيباً، ولا تأملتها إلا تذكرتُ الموتى من أهلي وأقاربي وأرباب ودِّي، وخيّلتُ في نفسي أني ذلك الشخص الذي وصف الإمام (عليه السلام) حاله)(١٥).

وقال الجاحظ: سمعت النَّظام يقول (علي بن أبي طالب (عليه السلام) محنة للمتكلِّم، إن وَفى حقَّه غَلى، وإن بخسه حقَّه أساء، والمنزلة الوسطى دقيقة الوزن، حادَّة اللسان، صعبة الترقِّي إلا على الحاذق الزَّكي)(١٦) .

وقد اختار الجاحظ مائة كلمة من كلام الإمام علي (عليه السلام)، وحكم بان كل كلمة منها تفي بألف من محاسن كلام العرب ولم يخصَّها من سائر حكمه لمزيد جلالة، بل لضمِّها الوجازة الى الجزالة(١٧)، لما تحويه من بلاغة وفصاحة تفوق آلاف الكلمات في اللغة العربية، وقد شرح ابن ميثم البحراني ورشيد الوطواط هذه الكلمات المائة التي قام الجاحظ بجمعها(١٨).

الشاعر أبو الطيب المتنبي:

هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد أبو الطيب الجعفي الشاعر، المعروف بالمتنبي ولد بالكوفة سنة ٣٠٣هـ(١٩)، في أسرة مجاورة للعلويين، فاختلف الى كتَّاب أولادهم، وأخذ مبادئ العلوم فيها، فكان يتعَّلم دروس العربية شعراً ولغةً وإعراباً..، وأكثر من ملازمة الورّاقين فكان علمه من دفاترهم..، فصارت ثقافته مجموعة من ما تلقاه في كتَّاب الكوفة، وما أفاده من مصاحبة الأعراب في البادية، وما تعلَّمه في بغداد، وزاد عليها بهجرته الى العلماء ومصاحبتهم، فدرس على السكري ونفطويه وابن دستويه، ولقي كذلك أبا بكر محمد بن دريد فقرأ عليه ولزمه، ولقي بعده من أصحابه أبا القاسم عمر بن سيف البغدادي، وأبا عمران موسى..، وتعاطى قول الشعر من حداثته حتى بلغ الغاية التي فاق فيها أهل عصره، وطاول شعراء وقته..، وكانت رحلته؛ الى بغداد في سنة ٣١٦هـ، والى الشام في سنة ٣٢١هـ(٢٠)، ومن كثرة حبِّه للعلم، كان لم يترك باباً من أبواب الكتب إلا قرأه كالأدب واللغة والفلسفة والمنطق ولقيَ الكثير من أكابر العلماء؛ كالزجَّاج، وابن السراج، والأخفش، وابن دريد، وأبي علي الفارسي، وابن جنّي، وغيرهم(١).

والذي يهم بحثنا في شعر المتنبي؛ إن الكثير من شعره جاء مقترناً بالحكمة في أغلب أغراضه الشعرية؛ كالمدح، والهجاء، والرثاء، والوصف، والفخر، (وقيل سئل أبو العلاء المعري: من أشعر الثلاثة: أبو تمام، والبحتري، والمتنبي؟ فقال: حكيمان والشاعر: البحتري)(٢٢)، فقد ناغم المتنبي بين العقل والاحساس والشعور معاً في نتاجاته الشعرية، والشعر خيالٌ وإحساسٌ وعاطفةٌ، والحكمة نزعة عقلية توافق الحق والصواب.

لقد جانس المتنبي في تجربته الشعرية بين رصانة الفكر وجمالية القول، بفضل ما اكتسبه من ثقافة مجتمعه العباسي الذي سادت به علوم؛ الكلام، والفلسفة، والمنطق، واللغة وآدابها، والفقه والحديث، والتفسير، والسِّيَر والتاريخ، وعلوم أخرى..، إذ ازدهرت الحركة العلمية – الأدبية في عصره، وامتازت بنزعتها الفلسفية والمنطقية التي انتقلت الى العربية بعامل الترجمة من اللغات؛ اليونانية، والفارسية، والهندية، فأقبل العلماء والأدباء على دراسة كتب أفلاطون وبُقراط وجالينوس ومنطق أرسطو، وحكمة بيدبا وغيرهم، وانتشرت عملية تحوير الحِكَم والأمثال الأجنبية من النثر العربي الى الشعر العربي وتضمينها فيه بشكل مباشر أو غير مباشر، إضافة الى الحِكَم والأمثال العربية القديمة، بطريقةٍ لا يمكن للمتلقي أن يجزم بحكم قاطع على مرجعية الحِكَم المنقولة الى الشعر العربي بأنها مأخوذة عن أصل عربي أو يوناني أو غيرهما، فقد تُنسب الحكمة الواحدة مرة الى الفرس ومرة الى اليونان وتارة أخرى الى الهند ثم نجدها أيضاً راسخة في البيئة العربية منذ عهود قديمة، فإذا أمعن الباحث في كتاب «كَلِيلة ودُمنة» يرى الكثير منها أقرب الى ما يكون لحكمة اليونان، ومن ثم نرى أن «كَلِيلة ودُمنة» أقرب ما تمثِّل التراث الحكمي العالمي..، فليست وقفاً على ثقافة معينة حتى لو كانت بلغتها، كما أن كتاب «الأدب الكبير» يؤكّد هذا المعنى حيث امتزجت فيه الحكمة اليونانية بحكمة العرب والفرس(٢٣)، فقد نجد معنى واحد تشترك فيه الحكمة الفارسية والهندية واليونانية والعربية أيضاً قبل انتقال هذه الثقافات إليها وبعدها، وكان من الطبيعي أن يتأثَّر نتاج الشعراء بظروف بيئتهم العلمية – الفكرية، التي تُشكِّل مصدرهم الأساس في تكوين أفكارهم وثقافتهم، مهما تباينوا في الفكر والوجدان.

ولا عجب أن يظهر في شعر المتنبي –كما في شعر سائر أعلام عصره– أثرُ الثقافة المتداولة يومئذٍ، حتى غلب على نتاجه كثير من الحكم والأمثال التي دار حولها جدل النقَّاد: أهي من ابتداعه أم مما استوعبته ذاكرته الواسعة؟ وما تشابه فيه مع أقوال من سبقوه، فهو – في أكثر أحواله– من قبيل الاستحياء أو توارد المعاني الذي لا يكاد يخلو منه نتاج أدبي كبير.

فقد ذهب بعضهم الى أنه نظر في كتب حكماء اليونان وفلاسفتهم امثال؛ أفلاطون، وأرسطو، وبُقراط وغيرهم فنظمها في شعره، أمثال الحاتمي (٣١٠–٣٨٨هـ)(٢٤) الذي ألَّفَ (رسالتين في نقد شعر المتنبي؛ الأولى سمَّاها: الرسالة الحاتمية نسبة إليه، وهي رسالة قصيرة أشار فيها الى مائة معنى من معاني المتنبي، وردَّها الى أنها مأخوذة من كلام أرسطو، والرسالة الثانية هي: الرسالة الموضحة في ذكر سرقا ت المتنبي وساقط شعره، وهذه الرسالة أهم من الأولى، وعدَّها النقَّاد أول رسالة وافية صُنِّفَتْ في نقد شعر أبي الطيب المتنبي، وقد انتقد فيها الحاتميُ المتنبيَ، ورأى أن كثيراً من حكمه مأخوذة عن أرسطو)(٢٥)، وذكره ابن فورَّجة مرتين في نقده(٢٦)، وعبَّر عن عدم موافقته للحاتمي في المرتين، حتى أنه شكَّكَ في نسبة الكتاب إليه..

وهناك من يرى أن نقد الحاتمي لم يكن موضوعياً بتحامله على المتنبي، لأنه كان بإيعاز من الأمير معز الدولة بن بويه ووزيره المهلبي، إذ قال المهلبي لمعز الدولة «أسمعت ما فعله أبو علي الحاتمي بالمتنبي؟ لقد شفى منه نفساً»(٢٧) .

لكن المتنبي لم يسرق الحكمة من سقراط مثلما ذهب إليه الحاتمي، بل كان متأثِّراً بها، فقد التقى بالفيلسوف الفارابي (٣٣٩هـ) في بلاط سيف الدولة الحمداني، والذي كان مهتماً بدراسة مؤلفات أرسطو، بدرجة أن أهل الشرق قد أسموه بالمعلم الثاني، ولعلهم يقصدون بذلك أنه ثاني أساتذة الفلسفة ومعلميها بعد أرسطو الملقب بالمعلم الأول(٢٨)، كما أن المتنبي (مدح أبا الفضل الكوفي، ولزمه، وكان من المتفلسفة، فدرس الفلسفة عليه)(٢٩)، إضافة الى اطلاعه على نتاج مفكري عصره أمثال؛ البيروني، وابن سينا، وقد مهَّد الفيلسوف الكندي الذي جاء في العصر السابق كثيراً من مناهج الفلسفة لمن جاء بعده(٣٠)، والمتنبي معروف بالذكاء الحاد وقوة الحفظ وكثرة الاطلاع على نتاج المفكرين والعلماء والأدباء(٣١)، فقد كان يقضي جانباً كبيراً من وقته في القراءة والتمحيص، ومن هنا ذهب طه حسين الى أن

المتنبي (تعلم على غير معلم ولم يأخذ ثقافته وأدبه عن الأساتذة والنقاد، وإنما أخذها عن الكتب والصحف)(٣٢)، وقد يُحمل هذا الكلام على المرحلة المتأخرة من حياة المتنبي، إذ أنه قد أخذ العلوم من أساتذته في صباه –مثلما مرَّ بنا–. وبالجملة فقد تلوَّن شعر الحكمة عند المتنبي بلون الثقافة العقلية والدراسة الفلسفية وأن (اجتماعه بالفارابي في بلاط سيف الدولة الحمداني وبقاءهما معاً ما يقرب من عامين ٣٧٧–٣٣٩هـ)(٣٣) جعله يطَّلع على فلسفة أرسطوطاليس ويتأثر بحكمته.

والملاحظ أن حكمة وفلسفة المتنبي لم تقتصر على الفلسفة الذهنية كفلسفة؛ الكندي، والفارابي، وابن سينا وغيرهم، بل شملت الفلسفة الأخلاقية التي تتصل بسلوك الإنسان والمجتمع، آخذاً بتفسير دوافعها، وتبيان محورها كالتمجيد بكرامة الإنسان، وعزة النفس، والحث على الفضائل، ونبذ الرذائل، ورفض الذّل والهوان بكل صوره.

ولمَّا تتبَّعتُ موارد الفلسفة الأخلاقية في شعر المتنبي، لفت انتباهي كتابٌ مطبوع للسيد عبد الزهراء الحسيني بعنوان «مائة شاهد وشاهد من معاني كلام الإمام علي (عليه السلام) في شعر أبي الطيب المتنبي»(٣٤)، وقد جاء هذا الكتاب – في بنائه العام – على غرار «الرسالة الحاتمية» لأبي علي الحاتمي –آنفة الذكر– والتي أشار فيها أبو علي الحاتمي الى «مائة معنى من معاني المتنبي، مأخوذة من كلام أرسطو».

وقد أفدتُ من كتاب الحسيني بوصفه خزانة للشواهد ومرجعاً يجمع المواطن التي يُظَنّ فيها التضمين، غير أني وجدتُ أن المؤلف – رحمه الله – أكتفى في الغالب بالإشارة الى موارد التضمين دون أن يُعنى بتحليل أبيات المتنبي وتحقيق صلتها الدلالية والفنية بأقوال الإمام علي (عليه السلام)، بقدر ما اكتفى بالإشارة الى تضمين المتنبي لأقوال الإمام علي (عليه السلام).

ومن هنا، لم أتعامل مع الكتاب بوصفه مادة جاهزة للتحليل، بل بوصفه منطلقاً للنقاش، فانتقيتُ منه جملة من الأبيات التي يَظهرُ فيها احتمال التضمين، وتركتُ أخرى رأيتُ أن ربطها بأقوال الإمام علي (عليه السلام) فيه تكلُّفٌ أو ليٌّ للدلالة.

واعتمدتُ في بحثي منهجاً يقوم على التحليل النصي والمقارنة الدلالية والكشف عن البنية البلاغية التي تجمع بين النصين، محاولةً تقديم رؤية نقدية تتجاوز مجرد جمع الشواهد الى فهم العلاقات العميقة بين القولين: قول المتنبي وقول الإمام علي (عليه السلام).

وقبل المضي في بيان مواضع التضمين، يجدر التنبيه الى أن تمثّل المتنبي لمعاني كلام الإمام علي (عليه السلام) لا ينتقص من مكانته الفنية، بل يبرز قدرته على صوغ المعاني الموروثة في قوالب شعرية محكمة، يكسوها بَصمَته الأسلوبية الخاصة وفصاحته الجزلة.

على أن العلاقة بين المتنبي والإمام علي (عليه السلام) ليست بعيدة عن وجدانه؛ فقد عبَّر عن إعجابه بالوصيِّ حين عُوتب على ترك مدحه، فقال:

وتركتُ مدحي للوصيّ تعمّداً إذ كان نوراً مُستطيلاً شاملا
وإذا استطال الشيءُ قام بنفسه وصفاتُ ضوءِ الشمس تَذهبُ باطلا(٣٥)

ولعلَّ هذا الإعجاب العميق بشخصية الإمام (عليه السلام)، قد جعل المتنبي أكثر استعداداً لاستلهام حكمه وكلماته، فيسهم – بوعي أو بغير وعي – في حمل طرفٍ من تراثه الى الأجيال، ذلك التراث الذي حاول أعداءُ علي بن أبي طالب طمسَهُ، فأبى الله تعالى إلا أن يملأ به الأفاق، مثلما قال الخوارزمي في مقدمة مناقبه: (ما أقول في شخص أخفى أعداؤه فضائله حسداً، وأخفى أولياؤه فضائله خوفاً وحذراً، وظهر فيما بين هذين ما طبقت الشرق والغرب)(٣٦) .

• نماذج مختارة من أبيات المتنبي تتضمَّن بعض أقوال وحِكَمِ الإمام علي (عليه السلام).

١– قال المتنبي:

ما الخِلُّ إلاَ مَن أوَدُّ بقلبِهِ وأرى بطَرْفٍ لا يَرى بسوائِهِ(٣٧)

استخدم الشاعر في هذا البيت أسلوب الاستثناء المسبوق بالنفي، ليفيد معنى الحصر والتخصيص والتأكيد على أن الصديق هو من يوافقه الرأي في الأمور كلها، فلا يرى إلا ما يراه ولا يقول إلا ما يقوله، والمعنى في عجز البيت يتضمَّن قول الإمام علي (عليه السلام) في ذمِّه لقومٍ استحوذ الشيطان علي قلوبهم فاتخذوه قائداً ومرجعاً ونظاماً واتبعوه قولاً وفعلاً، فجعلهم أدوات لإيقاع الناس في الظلمات، وكأنه ينظر بأعينهم ويقول بألسنتهم، إذ قال (عليه السلام): (اتخذوا الشيطانَ لأمرِهِمْ مِلاكاً واتَّخَذَهُمْ له أَشْرَاكاً...، فنظرَ بأعيُنهم، ونطقَ بألسنتهم)(٣٨)، فالمعنى واحد بين القولين لوجه الشبه بينهما؛ وهو «تشابه الأفكار والأقوال والأفعال» بين الشاعر وخليله من جهة، وبين الشيطان ومريديه من جهة أخرى، مع الاختلاف في كون الصديق هو من تأثَّر برؤى الشاعر دون العكس، بينما تساوى الشيطان ومريدوه في التأثِّر والتأثير، وبذلك يتضح مُراد الشاعر بأنه متبوعٌ في الفكر لا تابعٌ، وهذا ما امتاز به المتنبي من (بروز شخصيته في شعره، وصدق إيمانه برايه، وقوة اعتداده بنفسه وصحة تعبيره عن طبائع النفس)(٣٩).

فتضمين المتنبي لقول الإمام علي (عليه السلام)، هو تضمين إشاري وتحويري؛ إذ أشار لمعناه بتحوير اللفظ وتبديل الجملة من الإثبات الى السلب، فكانت على طرفي نقيض بين سلب الرؤية في قول الشاعر (لا يَرى بسوائِهِ) وأثباتها في قول الإمام (فنظرَ بأعيُنهم).

٢- قال المتنبي:

وكلُ طريقٍ أتاه الفتى على قَدَرِ الرجلِ فيه الخُطا(٤٠)

تناول الشاعر في هذا البيت موضوع همَّة الإنسان وعزمه وطاقته في السعي والعمل، فجسَّدَ «صورة الهمة» بخطوات الرِجْل دون بقية أعضاء البدن، لوجود الملازمة بين الرِجْل وخطواتها، وبها تقع الخطوة فيسعى سعيه، والمراد من صاحب الرِجْلِ هو (الفتى) فأطلق الجزء وأراد الكل، ومعنى البيت هو على قدر همة الفتى يكون سعيه وعزمه، (فإذا طالت رجله اتسعت خطاه)(٤١)، فالإنسان يسير على قدر حجم قدميه وعزمه على السير والمُضي في الطريق بحسب همته.

وهذا المعنى يتضمَّن قول الإمام علي (عليه السلام): (قَدْرُ الرَّجُلِ على قَدْرِ هِمَّتِه، وصِدْقُه على قَدْرِ مُرُوءَتِه، وشجاعَتُه على قَدْرِ أَنَفَتِه، وعِفَّتُهُ على قَدْرِ غَيْرَتِه)(٤٢)، فقدر الرجل وقيمته تعتمد على علو همته أو دنوّها، فإذا كانت همته عالية كان قدره وفعله كبير. وكذلك بقية الصفات (صِدْقُه/ شجاعَتُه/ عِفَّتُهُ) تعتمد على قدر فضائله (مُرُوءَتِه/ أَنَفَتِه/ غَيْرَتِه).

والفرق بين القولين هو أن الشاعر استخدم الكناية في التعبير لأن فيه عموماً مطلقاً (وكلُ طريقٍ)، فكنَّى عن الهمة بلوازمها «الخطوات»، بينما صرَّح الإمام (عليه السلام) بذكر الهمة، حسب مقتضى الحال لأنه في مقام بيان الصفات والفضائل الأخلاقية التي ينبغي للرجل أن يتصف بها، وهي؛ الهمة، والصدق، والمروءة، والشجاعة، والأنفة، والعفة، والغَيْرَة، فكان في تعبيره خصوص من وجه، وكرر المتنبي استخدام مفردة (قدر) بمعنى الهمة مرة ثانية بقوله:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم(٤٣)

ونراه يكرر استخدامها مرتين مرة في صدر البيت ومرة في عجزه، للتأكيد على أهميتها، مشيراً الى أن (العزائم) و(المكارم) تعتمد على همَّة الرجل وقوة نفسه، (فمن كان كبير الهمَّة، قوي العزم عظم الأمر الذي يعزم عليه، وكذلك المكارم إنما تكون على قدر أهلها، فمن كان أكرم كان ما يأتيه من المكارم أعظم، والمعنى: أن الرجال قوالب الأحوال إذا صغروا صغرت، وإذا كبروا كبرت)(٤٤)، فيقابل المتنبي بين (عين الصغير) الذي (تعظم) في نفسه الصغائر، و(عين العظيم) الذي (تصغر) في نفسه العظائم، مستفيداً من العلاقة الضدية المتقابلة بين (النفس/

الشهوة) و (كَرُمَتْ/ هَانَتْ) في قول الإمام علي (عليه السلام): (مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ شَهَوَاتُهُ)(٤٥)، إلا أن الإمام سلام الله عليه طرحها بصيغة أخلاقية موجزة من أن كرامة النفس تتحقق عن طريق التحكم بالشهوات، بينما صاغها المتنبي بأدوات التشبيه والاستعارة بصورة شعرية بلاغية، وأتى بنفس المعنى.

وفي المرة الثالثة كرر المتنبي استخدام مفردة (قدر) بمعنى قيمة المرء ومكانته، فقال:

٣- ومَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ رَأَى غَيْرُهُ مِنْهُ مَا لا يَرَى(٤٦)

الجهل قسمان؛ بسيط، ومركب، و(الجهل البسيط هو أن يجهل الإنسان شيئاً وهو ملتفت الى جهله، فيعلم أنه لا يعلم...والجهل المركب هو أن يجهل شيئاً وهو غير ملتفت الى أنه جاهل به، بل يعتقد أنه من أهل العلم به فلا يعلم أنه لا يعلم)(٤٧)، والمراد من قول المتنبي (ومَنْ جَهِلَتْ نَفْسُهُ قَدْرَهُ) جهل مركب لأنه جاهل بقيمة نفسه ولم يلتفت الى أنه جاهل بها، فخُفِيت عليه عيوبه بسبب عجبه وغروره فيستحسن منها ما يستقبحه غيره(٤٨)، من هنا يترحم الإمام علي (عليه السلام) على مَنْ يعرف قيمة نفسه وحقيقة مكانته في المجتمع، قائلاً: (رَحِمَ اللهُ امرَأً عَرَفَ قَدْرَه ولم يتعدَ طوره)(٤٩)، فيقف عند حدوده ولم يتجاوز في طموحاته ومسؤولياته في الأقوال والأفعال، كي يرى غيرُهُ منه ما يرى – المرءُ – في نفسه، وحينها لا يقع في عواقب وخيمة.

فنجد في بيت المتنبي تضميناً إشارياً لقول الإمام علي (عليه السلام)، لأنهما متشابهان في معنى (قدره) وهو قيمة الإنسان ومكانته في المجتمع، وإن اختلفا في السياق بين الجهل والمعرفة، وبين السلب والإيجاب، فكانت العلاقة بينهما ضدية؛ إذ استخدمها المتنبي بلحاظ الآخر (غَيْرُهُ) الذي يتأثر تأثُراً سلبياً لعدم معرفة المرء بنفسه، واستخدمها الإمام (عليه السلام) بلحاظ المرء الذي ينبغي عليه معرفة قيمته ومكانته معرفة إيجابية، ومما يؤكِّد هذا التضمين ما ورد عنه أيضاً قوله: (الخيرُ كلُّهُ فيمن عرف قدر نفسه، وكفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف قدر نفسه)(٥٠).

٤- قال المتنبي:

إذا أنتَ أكرمْتَ الكريمَ مَلَكْتَهُ وإنْ أنتَ أكرمْتَ اللَّئيمَ تَمَرَّدا(٥١)

يتناول المتنبي طبيعة النفس البشرية ومدى استجابتها لحالة الإكرام، ويقابل بين سلوك الإنسان (الكريم) و(اللئيم)، مُظهراً بأن الكريم يزداد حباً وتواضعا لمكرمه، ويزداد اللئيم كرهاً وتكبُّراً، ولإثبات حقيقة هذه المفارقة بينهما، استخدم الجملة الإسمية (أنتَ أكرمْتَ..) وكررها مع تكرار أداة الشرط (إذا/ إنْ) للتأكيد على (أن الكريم يعرف قدر الإكرام، فيصير كالمملوك لك إذا أكرمته، واللئيم إذا أكرمته يزيد عتوًّا وجراءة عليك)(٥٢)، واستخدام المتنبي أداة الشرط (إذا) مع إكرام الكريم، لأن (الأصل في «إذا» أن تكون للمقطوع بحصوله، وللكثير الوقع)(٥٣)، وهذا هو المعهود من صفات الكريم ونبله، بينما استخدم أداة الشرط (إنْ) مع إكرام اللئيم لأنها تستعمل (في المعاني المحتملة الوقوع والمشكوك في حصولها، والموهومة والنادرة، والمستحيلة وسائر الافتراضات الأخرى، فهي لتعليق أمر بغيره عموماً)(٥٤) فاحتمال إكرام اللئيم قد يقع من الآخر وقد لا يقع لأنه يعلم لؤمه.

وقد ذهب صاحب كتاب «مائة شاهد وشاهد من معاني كلام الإمام علي (عليه السلام) في شعر أبي الطيب المتنبي» الى أن هذا البيت يتضمن قول الإمام علي (عليه السلام): (احذَروا صولةَ الكريمِ إذا جاعَ واللئيمِ إذا شَبِعَ)(٥٥) مستنِداً لرأي ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه إذ يقول: (ليس يعني بالجوع والشبع ما تعارفه الناس، وإنما المراد احذروا صولة الكريم إذا ضيم وامتهن، واحذروا صولة اللئيم إذا أكرم، ومثل المعنى الأول قول الشاعر:

لا يصبر الحرُّ تحت ضيم وإنما يصبر الحمار

ومثل المعنى الثاني قول أبي الطيب:

إذا أنتَ أكرمْتَ الكريمَ مَلَكْتَهُ وإنْ أنتَ أكرمْتَ اللَّئيمَ تَمَرَّدا (٥٦) إن وجه الشبه بين النصين بالإضافة الى استخدامهما؛ لأسلوب المقابلة بين (الكريم) و(اللئيم)، وأسلوب التكرار لأداة الشرط (إذا)، يتحدد من خلال

وحدة الفكرة في تمييز السلوك الإنساني لدى (الكريم) و(اللئيم)، وطبيعة النفس البشرية في حالات؛ الكرم، والجوع، والشبع، إلا أن سياق قول المتنبي كان في التجربة النفسية والإنسانية لحالة الإكرام، باتخاذها معياراً لاختبار الأخلاق، بينما سياق قول الإمام (عليه السلام) جاء للتنبيه والتحذير من السلوك الواقعي والاجتماعي في التعامل الخاطئ مع (الكريم) و(اللئيم) عند حالتي «الجوع والشبع»، لأن الجوع يثير غضب (الكريم) الذي لا يرضى الضيم والمهانة، والشبع يبعث في اللئيم البطر والتجبر.

وعليه لا يوجد تضميناً مباشراً لقول الإمام (عليه السلام) وإنما هنا تشابه معنوي وفكري يُشير الى تأثّر المتنبي بروح حِكَم الإمام علي (عليه السلام).

٥- قال المتنبي:

الظلمُ مِنْ شِيَمِ النفوسِ فإنْ تَجِدْ ذا عِفَّةٍ فلِعِلَّةٍ لا يَظْلِمُ(٥٧)

مرة ثانية يتناول المتنبي طبيعة النفس البشرية، ويطرح موضوع «الظلم» الذي يتصف بالكمون تارة، وبالظهور تارة أخرى، و(الظلم في طبائع النفوس، وقد جبلوا عليه، فاذا رأيت عفيفاً لا يظلم، فإنما تركه لعلة، وهو كلام الحكيم: الظلم من طبع النفس، وإنما يصدها عن ذلك إحدى علتين: إما علة دينية، أو علة سياسية، كخوف الانتقام منها)(٥٨).

ويجد الباحث في صدر البيت تضميناً مباشراً لقول الإمام علي (عليه السلام) (الظلم من كوامن النفوس القوة تبديه، والضعف يُخفيه)(٥٩) باستثناء مفردة «كوامن» التي استبدلها المتنبي بمفردة «شيم» بمعنى؛ طبيعة، خُلق، عادة، كما يجد في عجز البيت تضميناً إشارياً، فـ (العلة) التي أجمل ذكرها المتنبي، كان الإمامُ (عليه السلام) قد فصَّلها بقوله: (القوة تبديه، والضعف يُخفيه) فالشخص القوي يجد الفرصة ليبدي ظلمه، والضعيف يخفي الظلم لأنه لا يملك القدرة على تنفيذه، ولا ضير في ذلك لأن الشعر يمتاز بالإيجاز والإجمال، والنثر يمتاز بالتفصيل والإطناب.

وقد أشار ابن أبي الحديد عند شرحه قول الإمام علي (عليه السلام): (من ملك استأثر) الى أن المتنبي قد ضمَّنَ قول الإمام (الظلم من كوامن النفوس...) فقال – أي المعتزلي– ، «المعنى أن الأغلب في كل ملك يستأثر على الرعية بالمال والعز والجاه، ونحو هذا المعنى قولهم : من غَلَب سَلَب، ومن عزَّ بزَّ. ونحوه قول أبي الطيب: والظلم من شيم النفوس فإن تجد ....»(٦٠) .

٦- قال المتنبي:

تَصفوا الحياةُ لجاهلٍ أو غافلٍ عَمَّا مَضى فيها ومَا يُتَوَقَّعُ(٦١)

وقال:

أَفاضِلُ الناسِ أغْرَاضٌ لِذَا الزَّمَنِ يَخْلُو مِنَ الهَمِّ أخْلاهُمْ مِنَ الفِطَنِ(٦٢)

وقال:

ذو العَقلِ يَشقَى في النعيمِ بعقلِهِ وَأخو الجَهالةِ في الشقاوَةِ يَنعَمُ(٦٣)

الأبيات من قصائد مختلفة، يقابل المتنبي فيها بين الجاهل أو الغافل من جهة والعاقل أو الفطن من جهة أخرى، فيرى في البيت الأول بأنَّ سعادة الحياة وصفاءها لا ينالها إلا جاهل أو غافل عن حقيقة الدنيا وتقلباتها وما يدور فيها من أحداث، فهو لا يبالي بمخرجات الأمور، لذا (يخلو من الهم) والغم باله، وفي البيت الثاني يرى بأن عقلاء الناس وفضلاءهم يتعرضون لسهام الزمن وبلواه، لأنهم يعرفون تقلبات الأيام ومكرها فينظرون الى مقدمات الأمور ونتائجها وهم دائمو الفكر والاهتمام بها، فلا (يخلو من الهم) والغم بال أحدهم.

وتجدر الإشارة بأن المتنبي في البيت الأول خصَّ مفردة «الجهل» بذكرها، ولم يذكرها في البيت الثاني وإنما أشار أليها بأسلوب تضمين التضاد لقوله: (أخْلاهُمْ مِنَ الفِطَنِ) وهم الجهلاء، وفي البيت الثالث قابل بينها وبين مفردة

«العقل» (ذو العَقلِ/ وَأخو الجَهالةِ)، والمعنى في هذه الأبيات واحد، فهو يرى (أن الحياة لا تصفو لمن يلحظ الدنيا بعين المعرفة، ويتأمل تأمُّل الدراية، وإنما تصفو لجاهل لا يعرف عواقبها فيتوقعها، أو لغافل لا يمثل صوارفها وتصاريفها ويتذكرها، فهي تصفو للغافل عما مضى من حياته، وما يتوقع في العواقب من انقضائها، أو حادث لا يطيق حمله)(٤).

وجاء في كتاب البخلاء للجاحظ (ومذهب صحصح في تفضيل النسيان على كثير من الذكر، وأن الغباء في الجملة، أنفع من الفطنة في الجملة، وأن عيش البهائم أحسن موقعاً من النفوس، من عيش العقلاء، وأنك لو أسمنت بهيمة، ورجلاً ذا مروءة، أو امرأة ذات عقلٍ وهمَّة، وأخرى ذات غباء وغفلة، لكان الشحم الى البهيمة أسرع، وعن ذات العقل والهمة أبطأ؛ ولأن العقل مقرون بالحذر والاهتمام، ولأن الغباء مقرون بفراغ البال والأمن، فلذلك البهيمة تقنو شحماً في الأيام اليسيرة، ولا تجد ذلك لذي الهمَّة البعيدة. ومتوقَّع البلاء في البلاء، وأن سلم منه، والغافل في الرجاء الى أن يدركه البلاء)(٦٥).

وقد أوجز الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) هذا المعنى بقوله: (ضَعْفُ العقل أمانٌ منَ الغمّ)(٦٦) أي مَن قلَّ عقله ولم يفكِّر بتقلبات الأيام وحوادثها، يعيش مرتاح البال خالياً من الهم والغم، وبموجب مفهوم هذا القول، يكون حالُ مَن رزقه الله تعالى عقلاً راجحاً، دائم الهم والغم، لأنه بحكمته يدرك تناقضات الحياة ومراراتها.

ومع أن هذه الأبيات تلتقي مع قول الإمام (عليه السلام) في رؤية وفكرة فلسفية واحدة، إلا أنه يُسجَّلُ للمتنبي في تضمينه لقول الإمام (عليه السلام)، أنه أخرج هذا المعنى بإيقاعٍ جميل يأنس به المتلقي نتيجة تنوّعٍ في الموسيقى الخارجية المتمثّلة بالوزن والقافية؛ إذ استخدم الكامل والقافية من المتدارك في البيت الأول، والبسيط والقافية من المتدارك في البيت الثاني، والكامل والقافية من المتدارك في البيت الثالث، وتنوّعٍ آخر في الموسيقى الداخلية المتمثّلة بالمحسنات البديعية؛ من جناس غير تام (يَخْلُو/ أخْلاهُمْ)، وطباق؛ (العَقلِ/ الجَهالةِ)، (يَشقَى/ يَنعَمُ)، (النعيمِ/ الشقاوَةِ)، وما تُشكِّل من مقابلةٍ بينها، وشبَّه الزمان بإنسان رامٍ يرمي بسهمه، وحذف المشبَّه به «الرامي»، وأبقى لازماً من لوازمه وهو الأغراض «الأهداف» فكأن الزمان شخصٌ يصيب الفضلاء بسهامه، وهذه استعارة مكنية، وقد سجل الفعل المضارع حضوره في الحقل الدلالي لهذه الأبيات (تَصفوا/ يُتوَقَّعُ/ يَخْلُو/ يَشقَى/ يَنعَمُ) ليدلَّ على حضور هذه الحالة واستمراريتها في فلسفة الحياة، وبهذا التقت فلسفة المتنبي مع الحكمة العلوية في صياغة بلاغية راقية.

وقد كان الاتجاه الفلسفي للشاعر؛ في البيت الأول تشاؤمي وتأملي، وفي البيت الثاني تشاؤمي يسخر من الزمن، فهو يعبّر عن تجربته الشخصية ويرى بأن الزمان لا ينصف أهل العقل والفضل.

٧- قال المتنبي:

أينَ الأَكاسِرةُ الجَبابِرَةُ الأُلَى كَنَزوا الكُنُوزَ فما بَقِينَ وَلا بَقُوا(٦٧)

يتناول المتنبي في هذا البيت فلسفة أخلاقية للوعظ والتذكير، فيتسأل و(يقول: أين الملوك، وأين الجبابرة الذين كنزوا المال وأعدُّوه، فلن يُغني عنهم مع الموت شيئاً، ثم مع هذا ما بقى هو ولا هم، وهذا وعظٌ شافٍ)(٦٨)، وقد أخذ المتنبي هذا المعنى من قول الإمام علي (عليه السلام) في وصيته للحسن عليهما السلام: (فالمال لا يبقى لك ولا تبقى له)(٦٩)، والمعتزلي في شرحه للنهج قال: (لفظ شريف فصيح، ومعنى صادق محقق، وفيه عظة بالغة، وقال أبو الطيب: أين الجبابرة الأكاسرة الأولى(٧٠)..... البيت)(٧١) إن التضمين الإشاري في قول المتنبي واضح وجلي، لأن الفكرة الأساس في كلا القولين واحدة، وهي زوال الأموال وأصحابها وأن الدنيا لا تبقى على حال، والإمام علي يوصي ابنه الحسن عليهما السلام بعدم التعلق بالمال والدنيا فيقول: (وخذ ما يبقى لك مما لا تبقى له)(٧٢)، فقام المتنبي بصياغة قول الإمام (عليه السلام) صياغة شعرية تصويرية، مستوحاة من أعماق التاريخ، واستحضر فناء الملوك الجبابرة وأموالهم التي اكتنزوها، جاعلاً من مصيرهم حكمة أخلاقية تدعو الى عدم التعلق

بالدنيا الفانية، مستخدماً أداة الاستفهام (أين) التي لا يريد منها استفهاماً حقيقياً عن مكان الجبابرة، وإنما أراد استفهاماً إنكارياً إذ لا وجود لهم اليوم ولا أثر، متعجباً من سرعة زوالهم رغم عظمة سلطانهم، وقد أضافت هذه الأداة قوة تأمل ودهشة بعثت في نفس المتلقي رهبة الزمان وسرعة الفناء، وحوَّلت قول الإمام (عليه السلام) الى مشهد حيٍّ من مشاهد التاريخ.

٨- قال المتنبي:

قَدِ استَشفَيتَ مِن دَاءٍ بِدَاءِ وأَقتَلُ ما أَعَلَّكَ ما شَفاكا(٧٣)

وله بيت آخر قال فيه:

لعلَّ عَتَبْكَ محمودٌ عواقِبُهُ فَرُبَّما صَحَّتِ الأَجسامُ بالعلَلِ(٧٤)

الشاعر في البيت الأول (يقول لقلبه: أضمرت من الشوق شوقاً الى أهلك، فكان ذلك داءك. وتداويت منه بأن فارقت أبا شجاع، ومفارقته داء أعظم من داء شوقك الى أهلك، فكأنما تداويت من فراقه بما هو أقتل من مكابدتك الشوق الى أهلك)(٧٥).

وفي البيت الثاني (يقول: لعل ما أحدثه الواشون من عتبك، وأوجبوه من موجدتك، محمود العاقبة، مشكور الخاتمة،... فربَّ علة انقادت بعد شدة، وكانت سبب السلامة والصحة)(٧٦).

يجد الباحث في هذين البيتين تضميناً واضحاً لقول الإمام علي في وصيته لابنه الحسن(عليهما السلام): (ربَّما كان الدواءُ دآءً والداءُ دواءً)(٧٧)، وفي شرح النهج علَّق ابن أبي الحديد على هذه الوصية بقوله وانظر: (هذا مثل قول أبي الطيب: لعلَّ عَتَبْكَ محمودٌ عواقِبُهُ فَرُبَّما صَحَّتِ الأَجسامُ بالعلَلِ)(٧٨).

فالإمام علي (عليه السلام) قد أوجز حكمته التجريدية حول تقلبات الحياة؛ بين الضر والنفع، والداء والدواء، بصورة تقريرية وإيقاعٍ متجانسٍ من مقابلة التضاد وتكراره، فكان مفاد حكمته بأن الضر قد يكون نفعاً، والنفع قد يكون ضرراً، وربما يظن الإنسان بشيءٍ أنه شفاء لعلته، فيكون سبباً لهلاكه والعكس صحيح، فانقلاب الأحوال وتداخل الأضداد وارد في طبيعة الحياة.

فأخذ المتنبي انعكاسَ العلاقة بين «الداء والدواء» من حكمة الإمام (عليه السلام)، وجسَّدها بصورة شعرية محسوسة؛ تارة يكرر اللفظ فيها بعينه (داء/ ربَّما)، وتارة يستخدم المرادف لها (الدواء/ ما شفاك)، وتارة يستخدم تركيباً تقابلي (الداء دواء/ أقتلُ ما أعلكَ ما شفاكا) يعكس فيه ذات الفكرة «صار العلاج علة»، لكن بمفارقة معنوية؛ فمع توازن المعنى وتضاده في آنٍ واحدٍ في قول الإمام (عليه السلام) «الداء يصير دواء»، يحوِّل المتنبي هذه الحكمة العقلية الى تجربة إنسانية محسوسة في صورتين مختلفتين؛ سلبية تراجيدية مثلما في البيت الأول «الشفاء صار قاتلاً»، وإيجابية تربوية مطمئنة مثلما في البيت الثاني «المرض سبب العافية».

فكان التضمين؛ المباشر جزئي اللفظ (داء/ ربَّما)، والإشاري تام المعنى، اجتمع فيهما أسلوب الطباق والمقابلة في أرقى صورها.

وكان أسلوب الإمام (عليه السلام) إيجازاً حكمياً بأربع كلمات، بينما كان أسلوب المتنبي بيت شعري كثيف حوَّلَ فيه المعنى التجريدي الى تجربة شخصية في البيت الأول بتقرير تصويري، وحكمة شعرية استنتاجية في البيت الثاني، وكأن المتنبي يقول بلسان الفن ما قاله الإمام بلسان الحكمة: إن بين الخير والشر خيطاً رفيعاً يلتفُّ أحياناً حتى لا يُرى الفرق بين الداء والدواء، فجمع بين حكمة الإمام وبلاغة التصوير الفني

٩- قال المتنبي:

ولِخَتْفٍ في العزِّ يَدنُو مُحِبٌّ ولِعُمْرٍ يَطُولُ في الذُلِّ قالي(٧٩)

يريد المتنبي في هذا البيت (أنه محبٌّ للهلاك الذي يدنيه من العزِّ، ومبغضٌ للعمر الذي يطول في الذُّل)(٨٠)، وهذا

المعنى مأخوذٌ من خطاب الإمام علي (عليه السلام) لأصحابه في معركة صفين، حينما استولى جيش معاوية بن أبي سفيان على الماء، وقالوا لجيش الإمام: لا تروُّا من الماء حتى تموتوا عطشاً، فقال الإمام لأصحابه: (قد استَطعَمُوكُمُ القتالَ فَأقِرُّوا على مَذَلَّةٍ وتأخيرِ مَحَلَّةٍ أو رَوُّوا السيوفَ من الدماءِ تَرْوَوا من الماءِ فالموتُ في حياتكم مقهورين والحياةُ في موتكم قاهرين)(٨١).

عبرَّ الإمام (عليه السلام) بأسلوب خطابي حماسي جدلي، عن عقيدة جهادية تسترخص الموت من أجل حياة حرة كريمة، فاستخدم أسلوب المقابلة والطباق وقابل؛ بين جدلية (الموت/الحياة)، وجدلية (الذّل «مقهورين»/ العز «قاهرين»)، وقرنَ الذّلَ مع حياتهم؛ مقهورين ومغلوبين وخاضعين، والعزَّ مع موتهم؛ قاهرين وغالبين، فشحذ العزائم والهمم وهجموا على الأعداء هجمة رجلٍ واحد واستولوا على الماء، ثم سمح الإمام (عليه السلام) لأعدائه أن يشربوا ويرشفوا خيولهم من الماء(٨٢). والمتنبي في بيته هذا قام بتضمين نفس الفكرة من حيث المعنى والمحسنات البديعية في المقابلة والطباق، مع تغييره اللفظ دون الاقتران، وبناءً على ذلك؛ فالإمام جسَّد الموت في صورة الحياة المقرونة بالقهر والذل والخضوع، وجسَّد الحياة في صورة الموت المقرون بالغلبة والنصر. وهذا ما جعل المتنبي يعبِّر عن؛ حبِّه للموت عندما يتجسَّد في صورة اقتران الحتف (الموت) بالعز (القاهر)، قبال بغضه للحياة عندما تتجسَّد في صورة اقتران العمر (الحياة) بالذل والهوان.

وإذا كان المتنبي قد ضمَّن ذات المعنى والمحسنات البديعية من قول الإمام (عليه السلام)، يبقى لبيته روعةً في الإيجاز والإيقاع الجميل بموسيقاه الداخلية من تناظر بين الألفاظ (الحتف/ العز – العمر/ الذل) إذ تمنح الإيقاع الداخلي بعداً دلالياً يعزّز المقابلة، وموسيقاه الخارجية من وزن الخفيف وقافية المتواتر محققاً وحدة فنية عالية بين الفكر والوجدان، إذ عبَّر من خلالها عن نفس أبية تبغض الذل والهوان في حياته اليومية.

١٠– قال المتنبي:

كفى بكَ داءً أنْ تَرى الموتَ شَافيا وحَسْبُ المنايا أنْ يَكُنَّ أمانِيَا
تَمنيتَها لما تَمنيتَ أنْ تَرى صَدِيقاً فَأَعْيَا أوعَدوًّا مُدَاجِيا(٨٣)

يكمل المتنبي فكرته الفلسفية حول (أمنية الموت)، فبعد بيانه لصورة (الموت) الايجابية في البيت السابق، بقوله: (ولِحَتْفٍ في العزّ يَدنُو مُحِبٌّ) جاء يقدِّم في هذين البيتين الصورة الأخرى «السلبية» للموت، عندما يكون أمنيةً للمتعبين من الحياة إزاء عجزهم في إيجاد الصديق المخلص والمداهن الساتر لعداوته، فيقول في البيت الأول: (كفاك داءً رؤيتك الموت شفاء، أي إذا أفضت بك الحال الى أن تمنى المنايا، فذلك غاية الشدة، وأن داءً شفاؤه الموت أقصى الأدواء، وأن المنية إذا صارت أمنية فهي غاية البلية، والمعنى: كفاك من أذية الزمان ما تتمنى معه الموت)(٨٤)، وفي البيت الثاني (يقول: تمنيت الموت لما طلبت صديقاً مصافياً فأعجزك، أو عدوًّا ساتراً للعداوة، وعند عدم الصديق الصافي، والعدوّ الموافق، يتمنى المرء المنية. قال الواحدي: هذا تفسير الداء المذكور في البيت الأول)(٨٥)، فالمتنبي يعكس أزمة وجودية فهو لا يتمنى الموت لذاته، بل لعجزه عن تحقيق مطلب إنساني هو الصداقة الحقة، فهو متشائم يطلب الموت للخلاص من رؤية الإنسان المخادع.

وقد أخذ المتنبي هذه الفكرة الفلسفية وضمَّنها في نصِّه الشعري، من قول الإمام علي (عليه السلام): (شرٌّ من الموت ما إذا نزل تمنيت بنزوله الموت، وخيرٌ من الحياة ما إذا فقدته أبغضت لفقده الحياة)(٨٦)، فالمعنى واحد في كلا القولين وهو «أمنية الموت» إلا أن النسبة بينهما نسبة عموم وخصوص من وجه؛ فقول الإمام (عليه السلام) عامٌ، وقول المتنبي خاصٌ بالصديق والعدو، والإمام يعتبر «أمنية الموت» شراً، بينما المتنبي يعتبرها داءً والشر أعم من الداء.

وللإمام سلام الله عليه قولٌ آخر في نفس المعنى، إذ قال: (الموت أُمنيةُ كلِّ ملهوفٍ مجهود)(٨٧)، فحديث الإمام علي (عليه السلام) حديثُ حكمةٍ يوجِّه الإنسان ويهديه الى الصبر والتعقُّل بأسلوب تعليمي، بينما المتنبي

يستخدم حديث ذاتٍ وتصويراً شعرياً لليأس، منطلقاً من تجربة نفسية –لا من توجيه أخلاقي– بنى من خلالها المعنى بناءً منطقياً على ثلاث مراحل؛ تشخيص الداء برؤية الموت شفاء، وبلوغ الغاية في الشدة بأن يصبح الموت أمنية، وسبب هذه الأمنية هي فقدان الصديق أو العدُّو المداري فهو لا يتمنى عدواً شريفاً يواجهه، بل حتى العدو المداجن والمتكتم لم يجده.

وقد ضمَّن المتنبي في البيت الثاني الفعل (تَمنيتَ) الوارد في قول الإمام تضميناً مباشراً، واستخدم أسلوب الطباق والمقابلة الواردين في قول الإمام لكن بتغيير المفردات، فقد قابل الإمام بين (شرٌّ/ خيرٌ) وبين (الموت/ الحياة)، وقابل المتنبي بين (داء/ شَافيا) وبين (صَدِيق/ عَدوّ)،وزاد بيتيه رونقاً وإبداعاً باستخدامه أسلوب الجناس الناقص(المنايا– أمانِيَا/ تَمنيتَها– تَمنيتَ)، وهو من أكثر المحسنات البديعية حضوراً في شعره، وقد لجأ إليه لا للتزيين اللفظي فحسب، بل خدمة للمعنى إذ يحمل قيمة دلالية يعكس الدوَّامة النفسية التي يعيشها المتنبي، ويمنح البيت إيقاعاً في تردّده بين طلب الموت والبحث عن الصديق.

١١– قال المتنبي:

والهمُّ يَخْتَرِمُ الجَسِيمَ نَحافَةً ويُشِيبُ ناصِيَةَ الصَّبِيّ وَيُهْرِمُ(٨٨)

يرى الشاعر أن الحزن والهمَّ قادرٌ على أن يضعف الجسيم حتى يصير نحيفاً، ويشيب شعر الصبي، ويُهرِم الإنسان قبل أوانه، وللإمام علي (عليه السلام) قولان؛ يُجمِلُ في الأول جدلية (الهم/ الهرم) قائلاً: (الهمُّ نصف الهرم)(٨٩)، ويُفصّلُ في الثاني تأثير الفتنة والبلاء على المجتمع؛ فيخصُّ الهرم للكبير، والشيب للصغير، قائلاً: (وطفِقْتُ أرتَئي بَيْنَ أنْ أصولَ بيَدٍ جَذَّاءَ أو أصبِرَ على طَخْيةٍ عَمياءَ يَهْرَمُ فيها الكبيرُ ويَشيبُ فيها الصَّغِيرُ)(٩٠)، فالهم والفتنة سببان والهرم والشيب نتيجتان تتصفان بمبالغة محمودة في كلٍّ من البيت والقولين، كما أن التشابه الصوتي بين (الهمُّ والهرم) يعكس تلازم معنوي بينهما.

ومن الواضح أن المتنبي قد ضمَّنَ القول الأول وجعل طرفيْ تلك الجدلية (الهم/ الهرم) في طرفيْ بيته (الهمُّ – يُهْرِمُ) تضميناً مباشراً، وأشار الى معنى القول الثاني (ويَشيبُ فيها الصَّغِيرُ) في عجز بيته بتضمين مباشر وإشاري (ويُشِيبُ ناصِيَةَ الصَّبِيّ) غير أن الإمام (عليه السلام) استخدم؛ صيغة الفعل اللازم (يَهْرَمُ/ يَشيبُ)، والجناس الناقص(الهمُّ/ الهرم)، والطباق والمقابلة (الكبيرُ/ الصَّغِيرُ)، بينما استخدم المتنبي صيغة الفعل المتعدي (يُشِيبُ/ وَيُهْرِمُ)، والتقارب الصوتي بين (الهمُّ/ يُهْرِمُ) قريب من مراعاة النظير ويعكس علاقة معنوية بينهما، وتقابل معنوي بين (الجَسِيمَ/ نَحافَةً) و(الصَّبِيّ/ الهرم) وهو تقابل دلالي وليس طباقاً لفظياً؛ منتقِلاً فيه من الجسم الى الشعر الى العمر، ليُبيّن كيف يفتك الهم بالإنسان في ثلاثة مستويات «بدناً – منظراً – عمراً»، وهذا تدرُّج بياني من المحسوس (الجسد) الى المرئي (الشعر) الى الزمني (العمر) يخلق حركة داخل البيت تُظهِرُ شدة الهم على مستويات الإنسان كافة.

كما استخدم المتنبي الاستعارة المكنية في الأفعال الثلاثة التي جاءت متوازية في الإيقاع؛ ففي الفعل (يَخْتَرِمُ) إذ شبَّه الهم بكائن يفترس جسد الجسيم، وحذف المشبَّه به وأبقى على شيء من لوازمه وهما الفتك والقطع، فكانت الصورة بأن الهم والآلام النفسية تجعل الجسد الجسيم نحيفاً، وفي الفعل (يُشِيبُ) جعل الهم فاعلاً مؤثّراً كشيء يُشيبُ الشعر، وهذا تأثير أسطوري مبالغ فيه ليُبيّن شدة الهم، كذلك هناك تشخيص بإسناد فعل بشري الى معنى ذهني «الهم»، وفي الفعل (يُهْرِمُ) أيضاً استعارة مكنية وتشخيص لأنه نسبَ للهم فعل إدخال الإنسان في مرحلة الهرم قبل إوانه.

إن اختيار المتنبي للفعل المتعدي يتسق تماماً مع ذاته وشخصيته وشعره وفلسفته، فذات المتنبي وشخصيته الشعرية، هي ذاتٌ فاعلة لا مفعول بها، إذ يرى نفسه صاحب إرادة وقوة وقدرة على التغيير، رافضاً أن يكون متلقياً للأحداث فقط، كما أن الفعل المتعدي هو صورة من صور فلسفة المتنبي؛ فالعالم يعتدي عليه، والهم يفعل فيه، والخصم يضربه، والزمان يكيد له، فهذا الخطاب ينسجم مع نزعة المتنبي الى تمثيل ذاته في موضع «المواجهة» لا

موضع الانهيار السلبي، لذلك يُضخِّمُ المتنبي أثرَ الهم ليُضخِّمَ ذاته بالتوازي، فلا يكتفي بوصف الهم، بل يجعله فاعلاً عنيفاً؛ «يَخترمُ، ويُشيبُ، ويُهرِمُ»، وكلها أفعال مباشرة تُحدث تغييراً محسوساً، فهو في الواقع يُضخِّمُ صبرَه ومعاناتِه وقدرته على احتمال هذا الهم، وهذا هو أسلوبه المعتاد في بنيته الشعورية «تعظيم ما يواجه من صراع ليعظِّمَ وعيه وذاته وفاعليتها والإحساس بالعظمة»، وهناك سبب آخر – غير الانسجام مع الذات –، بل هو سبب بلاغي لخدمة الصورة الشعرية، إذ أن المتنبي يريد تصوير (الهم) قوة مادية ككائن يفعل ويهاجم الجسد مباشرة بالقسوة والعنف، في حين أن الإمام علي (عليه السلام) يُصوِّر الفتنة حالة عامة «فعل لازم» لا فاعل محدد ولا سوطاً يضرب الناس «فعل متعدٍّ»، أي فتنة انكسار تنهك الجميع بانسيابها لا بإصابة مباشرة فيتغيَّرُ الإنسان من شدة الحال.

١٢– قال المتنبي:

يَهُونُ عَلَيْنا أَنْ تُصابَ جُسُومُنا وتَسْلَمُ أَعْرَاضٌ لَنا وعُقُولُ(٩١)

يتناول الشاعر في هذا البيت موضوعَ صيانة الأعراض والعقول بفلسفة أخلاقية – ذاتية، قائمة على أسلوب المقابلة بين إصابة الأجسام وسلامة الأعراض والعقول، ويقول (يهون أن تصاب جسومنا في الحرب، وأن تتعرَّض للجراح والقتل، إذا كانت أعراضنا وافرة، وعقولنا سالمة)(٩٢)، والمقابلة هنا تجعل المعنى المحوري «سلامة الأعراض والعقول» أكثر حضوراً، فهي ليست مجرد تزيين بلاغي، بل هي انعكاس لميزان نفسي يتبنَّاه المتنبي؛ فهو يُهوِّن من قيمة الجسد «المحسوس»، ويُعظِّم من قيمة العِرض والعقل «المعقول»، وهذا التحويل من المادي الى المعنوي يعطي المقابلة بُعداً فكرياً؛ فبالإضافة الى إيجادها جرساً معنوياً قوياً، تُبرز مفارقة بين القيم فترفع البيت من وصف حدث الى تقرير حكمة.

ويرى صاحب كتاب «مائة شاهد وشاهد من معاني كلام الإمام علي (عليه السلام) في شعر أبي الطيب المتنبي»، بأن المتنبي أخذ هذا المعنى من قول الإمام علي (عليه السلام) : (البخيل يسخو من عرضه بمقدار ما يبخل به من ماله، والسخي يبخل من عرضه بمقدار ما يسخو به من ماله)(٩٣)، إلا أن المتنبي أبدل المال بالجسوم(٩٤)، ففي قول الإمام علي (عليه السلام) مقابلة بين قيمتي العِرض والمال عند السخي والبخيل بفلسفة أخلاقية – عامة، وفي بيت المتنبي مقابلة بين إصابة الأجسام وسلامة الأعراض والعقول بفلسفة أخلاقية – ذاتية؛ من خلال الإشارة الى صورة السخي في قول الإمام (عليه السلام)، دون الإشارة الى صورة البخيل، إظهاراً لذاتيته السخية والافتخار بما يُضحي به أولاً (الجسوم)، وما يُصينه ثانياً (الأعراض والعقول)، فقد تدرَّج المتنبي في ترتيب المقابلة بينهما تدرُّجاً أخلاقياً؛ فهو يُقدِّم الأقل قيمة ليحمي الأعلى قيمة، مما يعمِّق دلالة المقابلة ويجعلها ذات بُعد قيمي بعدما حوَّلها من فلسفة أخلاقية عامة عند الإمام (عليه السلام) (مال/ عرض) الى فلسفة أخلاقية ذاتية (جسد/ عرض/ عقل)، وهذا تضميناً دلالياً فلسفياً يقوم على استلهام الفكرة الجوهرية وإعادة بنائها بأسلوبه الخاص.

إن استخدام أسلوب المقابلة الأخلاقية من قبل الإمام (عليه السلام) والمتنبي، يعزز العلاقة النصية بين الكلامين، إلا أن المتنبي بتغيير طرف المقابلة من «المال» الى «الجسد»، ارتقى من الدلالة المادية الى الدلالة الوجودية، فوضع نفسه في موضع المضحي الذي يُقدِّم جسده قرباناً لصيانة قيمتي العرض والعقل، مما يجعل المقابلة أكثر اتساقاً مع صورة الفارس – الحكيم التي يبنيها عن نفسه، وهذا التغيير بين «المال/ الجسد» لا يلغي التضمين، بل يُعزِّزه؛ لأنه قائم على تحوير مبتكر للمعنى لا أخذه كما هو.

كما أن حذفه لصورة البخيل «الحاضرة في قول الإمام (عليه السلام)» ليس مجرد تغيير، بل هو «اقتصاد بلاغي»(٩٥) يهدف لإبراز الصورة التي يريدها؛ صورة «السخي الشريف»، فالمتنبي يحذف ما لا يخدم تمجيد الذات، ليحافظ على البناء المتكامل لصورة «الذات الفارسية السخية» التي يحرص على إظهارها في شعره، وهو أسلوب بلاغي يُسمى «الإيجاز بالحذف»(٩٦) يخدم الصورة الفنية ويمنحها انسجاماً دلالياً.

إذاً فالمتنبي ضمَّنَ معنى قول الإمام (عليه السلام)، ولكن على طريقته الخاصة؛ بالتحوير، والتطوير، وإعادة البناء، لا

بالاستعادة اللفظية، وهذا النوع من التضمين أقوى وأعمق وأكثر شاعرية، لأنه يُظهر تأثُّراً واعياً لا تكراراً.

١٣- قال المتنبي:

وأُكْبِرُ نَفسِي عنْ جَزَاءٍ بغيبةٍ وكُلُّ اغتيابٍ جُهْدُ مَنْ لا لَهُ جُهْدُ(٩٧)

يقوم البيت على تقابل ضمني بين العجز والاقتدار؛ فالغيبة عند المتنبي ليست فعلاً أخلاقياً مذموماً فحسب، بل هي علامة ضعف، وهو بذلك يعيد تعيف القيم الأخلاقية بلغة القوة والقدرة، لا بلغة الوعظ، فمعنى الجُهْد الطاقة، والمتنبي المعتد بنفسه لا يجازي عدوَّه بالاغتياب لأن ذلك طاقة من لا طاقة له(٩٨)، وهذا المعنى أخذه المتنبي من قول الإمام علي (عليه السلام): (الغيبةُ جُهْدُ العاجز)(٩٩) فهو إذاً تضمين؛ إشاري، ومباشر، إذ أن مفردة «الغيبةُ» في قول الإمام (عليه السلام) هي ذاتها في بيت المتنبي (بغيبةٍ – اغتيابٍ)، كما أن مفردة «جُهْدُ» في قول الإمام (عليه السلام) هي ذاتها في بيت المتنبي (جُهْدُ)، غير أنه استبدل مفردة «العاجز» بعبارة (مَنْ لا لَهُ جُهْدُ) المتساوقة لمعنى «العاجز» في قول الإمام (عليه السلام)، ليُزيد حدَّة الإدانة بمضاعفة النفي؛ نفي الجهد، ونفي الملكية (لا له)، وبهذا يُبرز الفرق بين الحكمة الأخلاقية المجرَّدة عند الإمام (عليه السلام)، والحكمة الذاتية المتعالية عند المتنبي، فهو لا يكتفي باستدعاء الحكمة العلوية، بل يُخضعها لمنظومته الفخرية؛ فتحوّل القول من حكمٍ يُوجَّه الى الناس الى موقفٍ يُؤسِّس لصورة الذات الشعرية المتعالية التي ترى نفسها فوق الردّ، وفوق الخصومة اللفظية، وهو ما يُظهر قدرة المتنبي على استيعاب الموروث وإعادة إنتاجه وفق رؤيته الخاصة، وبذلك يُبرز تفوُّق الصياغة الشعرية على الأصل الحكمي.

ويلاحظ أن المتنبي قد مهَّد للتضمين بالفعل (وأُكْبِرُ نَفسِي)، وهو فعل نفسي دلالي يُنشئ مناخ التعالي قبل ورود الحكمة المتضمّنة، فكأن التضمين جاء نتيجة منطقية لهذا التعالي، لا برهاناً خارجياً عليه.

ولتأكيد هذا المعنى استخدم أسلوب التكرار مرتين؛ (بغيبةٍ/اغتيابٍ) و (جُهْدُ/ جُهْدُ) وهو أسلوب بديعي أعطى للبيت إيقاعاً موسيقياً داخلياً، وقد أسهم هذا التكرار بصورته المعنوية والتوكيدية في تكثيف المعنى وترسيخ الموقف، مما يؤكد وعي المتنبي بأدواته البلاغية وقدرته على تسخيرها لخدمة رؤيته الفكرية والنفسية في آن واحد.

١٤- قال المتنبي:

وَلَمْ أرَ في عُيوبِ الناسِ شَيْئاً كَنَقْصِ القَادِرِينَ على التَّمامِ(١٠٠)

يرى المتنبي أن (لا عيب أبلغ من عيب مَن قدَرَ أن يكون كاملاً في الفضل، ولم يكمل، أي لا عذر له في ترك الكمال إذا قدَرَ على ذلك ثم تركه، والعيب ألزم له من الناقص الذي لا يقدر على الكمال)(١٠١)، فقصد الشاعر بـ (التمام) هو كمال العقل الذي يميز الإنسان عن باقي أنواع جنسه من الحيوانات، إذ الإنسان حيوان ناطق كونه يشترك مع الحيوانات «جنساً» وينفصل عنها «نطقاً» لأن معنى النطق هو التفكر والعقل الذي يجعل الإنسانَ إنساناً(١٠٢)، من هنا قال الإمام علي (عليه السلام): (قبيحٌ بذي العقل أن يكون بهيمة، وقد أمكنه أن يكون إنساناً)(١٠٣).

ويبدو أن المتنبي يلتقي مع هذه الحكمة العلوية تضميناً إشارياً، إذ أشار الى ذات المعنى؛ باستبدال مفردة «قبيح» بمفردة (عيوب)، و»بذي العقل» بـ (الناس)، و»أمكنه» بـ (القادرين)، كما استبدل أسلوب المقابلة المصحوب بالطباق الذي عقده الإمام (عليه السلام) بين صورتين محسوستين «بهيمة/ إنسان»، بأسلوب مقابلة مصحوب بطباق بين مفهومين عقليين (نقص/ تمام)، إذ النقص دالٌّ على مرتبة البهيمة، والتمام دالٌّ على كمال الإنسانية بالعقل، فجعل (العيب) حالة ذهنية أخلاقية لا وصفاً شكلياً، وبذلك ارتقى بالحكمة من مستوى الإدانة السلوكية للأفعال، الى مستوى المحاسبة الوجودية للعقل الإنساني ذاته، فحوَّل أسلوب المقابلة من التجسيد الى التجريد، ليُناسب الشعر الحكمي مما يكشف عن نزوعه الى الفلسفة الأخلاقية لا الوعظ المباشر.

فالمتنبي لم يستدعِ النص العلوي، بل استدعى شبكة مفاهيمه؛ العقل، والإمكان، والتقصير، والمفاضلة القيمية،

ليُشرك المتلقي في إنتاج المعنى ولا يفرضه عليه، مستخدماً أسلوب القصر الادعائي في قوله: (وَلَمْ أرَ في عُيوبِ الناسِ شَيْئاً)؛ إذ نفى رؤية أي عيب يُداني هذا العيب في فضاعته، وكأن جميع العيوب تُمحى أمامه، وهذا من أقوى أساليب التفضيل البلاغي غير المباشر، كما أن تنكير (شَيْئاً) للتقليل في الظاهر، لكنه للتكثير في المعنى، إذ يُشعر بأن العيوب – على كثرتها – لا تبلغ منزلة هذا العيب، وهو تنكيرٌ تهويليٌّ بلاغي.

كما أن التشبيه الضمني في قوله: (كَنَقْصِ القَادِرِينَ على التَّمامِ)، هو تشبيهٌ ذهنيٌّ، يُقيم مقارنة ضمنية بين العيوب كلها وبين هذا العيب، فجعل (نقص القادرين) معياراً أخلاقياً أعلى تُقاس به سائر النقائص، فالقدرة في بيت المتنبي ليست قدرة جسدية ولا اجتماعية، بل قدرة عقلية أخلاقية، وهو ما يلتقي مع تعريف «الإنسان» في علم المنطق بأنه «حيوان ناطق»، ومن هنا يتضح أن المتنبي؛ لا يُدين الإنسان لقصوره وعجزه، بل يُدين خيانته لطاقته العقلية، من هنا قال (القَادِرِينَ على التَّمامِ) ولم يقل «العاجزين عن التَّمامِ»، وهذا ينسجم تماماً مع الحكمة العلوية التي جعلت الانتقال من «البهيمة» الى «الإنسانية» انتقالاً اختيارياً لا جبرياً.

١٥– قال المتنبي:

الرأيُ قَبلَ شَجاعَةِ الشُّجعانِ هو أولٌ وهيَ المحلُ الثاني(١٠٤)

في هذا البيت يعقد المتنبي مقابلة بين «الرأي والشجاعة» ويرى بأن (العقل مقدم على الشجاعة، فإنها إذا لم تصدر عن عقل أتت على صاحبها فأهلكته، وتسمى خرقاً، والمعنى أن العقل في ترتيب المناقب هو الأول، ثم الشجاعة ثانية له)(١٠٥)، إن تقديم (الرأي) على (شجاعة الشجعان) ليس ترتيباً لفظياً فحسب، بل هو ترتيب قيميٌّ مقصود، يُؤسس سُلم الفضائل عند المتنبي، حيث تتقدم الملكة العقلية على الملكة الجسدية، لأن للعقل مكانة سامية في الوجود، فقد رويَ في الحديث عن (علي بن الحكم، عن هشام، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): لمَّا خلق الله العقل قال له أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر، ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقتُ خلقاً أحبُّ إليَّ منكَ، بكَ آخذ، وبك أُعطي، وعليكَ أُثيب)(١٠٦)، إن إضافة (الشجاعة) الى (الشجعان) تفيد أقصى درجات القوة، ومع ذلك يراها المتنبي تابعةً للرأي، وفي هذا تعظيم للعقل لا ينتقص من الشجاعة، بل يضبطها، وكأن المتنبي يقول: ليست الشجاعة المذمومة هي المقصودة، بل حتى الشجاعة في أوجها لا تستغني عن العقل.

ويبدو أن المتنبي قد أخذ هذا المعنى من قول الإمام علي (عليه السلام): (رأي الشيخ أحبُّ إلي من جلد الغلام)، إذ المعنى واحد، والفرق بينهما في نسبة العموم والخصوص؛ حيث خصَّ الإمام علي (عليه السلام) «الرأي» بالشيخ و«الشجاعة» بالغلام بحسب مقتضى العمر لديهما، فعمر الشيخ مفعم بالتجارب والحِكَم، وعمر الغلام مفعم بالقوة والعنفوان، والإمام (عليه السلام) يُفضِّلُ مكانة الرأي على القوة، فقال: الرأي أحب إلي من القوة، بينما بيت المتنبي يُفيد العموم والترتيب؛ إذ جرَّد المتنبي «الرأي والشجاعة» من أصحابهما، فجعل لكل منهما مرتبةً مستقلة في نظام القيم، لا تتوقَّف على حاملها، ويمكن عدُّ هذا المعنى من باب التضمين البلاغي الدلالي، لا اللفظي؛ إذ لم يُحاكِ المتنبي قول الإمام (عليه السلام)، وإنما استوعب جوهرها الفكري وأعاد إنتاجه ضمن نسقٍ شعريٍ عام يتجاوز خصوص السنّ الى عموم الإنسانية، فقول الإمام (عليه السلام) مبنيٌّ على التجربة العمرية (الشيخ/ الغلام)، بينما قول المتنبي مبنيٌّ على فلسفة القيم المطلقة (الرأي/ الشجاعة)، فانتقل المعنى عند المتنبي من حكمة ظرفية الى قانون إنساني عام، وبهذا يتجلى أن المتنبي لم يكن مادحاً للعقل عرضاً، بل كان يُقيم عليه مشروعه القيمي، متكئاً على الموروث العلوي، غير أنه يُعيد صياغته بصيغة شعرية تتجاوز الزمن والسنّ الى الإنسان مطلقاً.

• **الخاتمة:**

اتضح من خلال هذا البحث أن العلاقة بين مفهومي التأثر والتأثير علاقة تكاملية تُسهم في استمرارية الفعل الإبداع وتجدده، بوصفهما من أهم قوانين التفاعل الوجداني بين الأنا والآخر، وقد تجلَّت هذه العلاقة بوضوح في التضمين

البلاغي بوصفه آليةً فنيةً واعية، لا تقوم على النقل الحرفي، بل على استيعاب المعنى وإعادة صياغته ضمن بنية شعرية جديدة.

وقد كشفت مقاربة أقوال الإمام علي (عليه السلام) في شعر المتنبي أن هذا التضمين لم يكن عارضاً ولا اعتباطياً، وإنما صدر عن وعيٍ ثقافيٍ وبلاغيٍ عميق، عبَّر عن تفاعل المتنبي مع الموروث الفكري والروحي للأمة، ولاسيما ما يتصل بالحِكَم والمبادئ الإنسانية الكبرى، بل أعاد أنتاج تلك المعاني في قوالب فنية محكمة، ووسمها ببصمته الأسلوبية الخاصة وفصاحته الجزلة.

وعليه، فإن هذا التضمين البلاغي لا يُعدُّ انتقاصاً من القيمة الفنية لشعر المتنبي، بل يُبرز قدرته على صهر المعاني الموروثة في نسيج شعري جديد، ويُؤكِّد انتماءه الى تقليدٍ إبداعيٍ يقوم على توارد المعاني المشروع لا على السرقة الأدبية.

وبذلك ينهض هذا البحث رداً نقدياً على ما ذهب إليه الحاتمي وغيره من دعاوى السرقات، ليُؤكِّد أن ثقافة المتنبي الواسعة، وقوة حافظته، ووعيه البلاغي، هي التي جعلت معاني الحكماء والأدباء، وفي مقدمتهم الإمام علي (عليه السلام)، تتفاعل مع تجربته الشعرية وتنبعث فيها بروح جديدة.

الهوامش:

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر ، ص٦٠ –٦٢ ج١
(٢) لسان العرب، ابن منظور، ج٤ ص٥
(٣) م. ن. ج١٣ ص٢٥٧–٢٥٨
(٤) الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني،. ج١ ص ٤٣٠
(٥) علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، محمد أحمد قاسم، ص ١٣٤
(٦) ينظر: التناص نظرياً وتطبيقياً، أحمد الزغبي، ص١٦ بتصرف
(٧) ينظر: الشعر العربي المعاصر، عز الدين اسماعيل، ص٣١١ بتصرف
(٨) الإبداع والتجربة الروحية رؤية مغايرة، محمد الخالدي، ص١٣٢
(٩) ينظر: ما وراء المصطلح (التناص)، د. سلمان كاصد، ص٣
(١٠) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١ ص٢٨
(١١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١ ص٤٥
(١٢) ينظر: م. ن.، ج١ ص٢٨
(١٣) ينظر: م. ن. ج١ ص٢٨
(١٤) ينظر: م. ن. ج١١ ص١٠٠
(١٥) م. ن. ج١١ ص ١٠٥–١٠٦
(١٦) الإمام علي (ع) من حبه عنوان الصحيفة، الشيخ أحمد الرحماني الهمداني، ص ١٣٦
(١٧) ينظر: مائة كلمة لأمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، شرحها ابن ميثم البحراني المصحح مير جلال الدين الحسيني الأرموي ، ص ٢
(١٨) مائة كلمة لأمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، شرحها ابن ميثم البحراني المصحح مير جلال الدين الحسيني الأرموي المحدِّث، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٩٢م/ مطلوب طل طالب من كلام أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، رشيد الوطواط، المصحح مير جلال الدين الحسيني الأرموي المحدِّث، مطبعة جامعة طهران، إيران، ١٣٤٢ هـ.ش

(١٩) ينظر: تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ج٤ ص ٣٢٤
(٢٠) ينظر: شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، ص ٢٤-٢٥ .
(٢١) ينظر: أمراء الشعر العربي، أنيس المقدسي، ص٣٢٨
(٢٢) سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، ج١٣ ص٤٨٧
(٢٣) ينظر: ملامح يونانية في الأدب العربي، إحسان عباس، ص ١٣٣ ، ١٤٠، ١٤٤ بتصرف شديد.
(٢٤) وهو محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي، أبو علي البغدادي؛ وكان من حُذَّاق أهل اللغة والأدب، وله مع أبي الطيب المتنبي مخاطبة أقذعه فيها، وله من التصانيف: الموضحة في مساوئ المتنبي، والرسالة الحاتمية؛ شرح فيها ما دار بينه وبين المتنبي وأظهر فيها سرقاته، وغير ذلك.. ينظر: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط١، ١٩٣٥م. ج١ ص ٨٧ –٨٩
(٢٥) الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي وساقط شعره، أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي، ص ٢٣
(٢٦) واتهمه بعدم فهمه للبيت، وذلك عند وقوفه على بيت المتنبي (وأظلم أهل الظلم مَنْ بات حاسداً لمنْ بات في نعمائه يتقلَّبُ) إذ قال: «قرأتُ كتاباً منسوباً الى أبي علي الحسن الحاتمي ، يذكر فيه ما نقله أبو الطيب من كلام أرسطو الى شعره، وأن هذا البيت من قول أرسطوطاليس، ويجوز أن يكون توهَّم الهاء في نعمائه عائدة الى منْ بات، وإن كانت عائدة إليها كان المعنى مأخوذاً كما ذكر من قول أرسطوطاليس، وإنما الهاء عائدة الى الممدوح» ينظر: الفتح على أبي الفتح، أبو علي ابن فُورَّجة، تحقيق عبد الكريم الدجيلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٢، ١٩٨٧م . ص ٦٩
(٢٧) ينظر: المتنبي بين ناقديه، د. محمد عبد الرحمن شعيب، ص ٢٣٧
(٢٨) ينظر: المقدمة، عبد الرحمن ابن خلدون، ص ٥٣٥
(٢٩) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، ص٣٨٢ / الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، ص ٣٠٤
(٣٠) ينظر: من أفلاطون الى ابن سينا (محاضرات في الفلسفة العربية)، جميل صليبا، ص ١٢٦-١٢٧
(٣١) ينظر: المتنبي بين ناقديه، د. محمد عبد الرحمن شعيب، ص ٢٣٥
(٣٢) مع المتنبي، طه حسين، ص ١١٣،
(٣٣) المتنبي بين ناقديه، د. محمد عبد الرحمن شعيب، ص٢٣٥
(٣٤) مائة شاهد وشاهد من معاني كلام الإمام علي (عليه السلام) في شعر أبي الطيب المتنبي، السيد عبد الزهراء الحسيني، مؤسسة نهج البلاغة، طهران– إيران، ط١، ١٩٨٤م.
(٣٥) البيتان محذوفان من ديوان المتنبي، وقد نقلهما الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي في الطبعة ذات الجزئين ج٢ ص ٥٤٦ وحذفهما في الطبعة ذات الأجزاء الأربعة من شرحه لديوان المتنبي. ينظر: مصادر نهج البلاغة وأسانيده، عبد الزهراء الحسيني الخطيب، مطبعة القضاء، النجف الأشرف–العراق، ط١، ١٩٦٦م. ح١ ص ١٧٣
(٣٦) مقدمة المناقب، الموفق الخوارزمي، ص٨
(٣٧) ديوان أبي الطيب المتنبي، أبو البقاء العكبري، ج١ ص٤
(٣٨) شرح نهج البلاغة، المعتزلي، ج١/ص١٧٣
(٣٩) ديوان أبي الطيب المتنبي لأبي العلاء المعري، عبد المجيد دياب، ص ٩٦
(٤٠) ديوان أبي الطيب المتنبي، أبو البقاء العكبري، ج١/ص٤٢
(٤١) م. ن. ج ١/ ص٤٢

(٤٢) شرح نهج البلاغة، المعتزلي، ج١٨ ص٣٠٤ : ح٤٥
(٤٣) ديوان أبي الطيب المتنبي، أبو البقاء العكبري، ج ٣/٣٧٨-٣٧٩
(٤٤) م. ن. ج ٣/٣٧٨
(٤٥) شرح نهج البلاغة، المعتزلي، ج٢٠ ص٣١٩ : ح ٤٥٨
(٤٦) م. س. ج١ ص٤٤
(٤٧) المنطق، الشيخ محمد رضا المظفر، ص ١٩
(٤٨) ينظر: ديوان أبي الطيب المتنبي، أبو البقاء العكبري،ج١/٤٤
(٤٩) غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي، ج١ ص٣٧٣
(٥٠) غرر الحكم ودرر الكلم ٧٠٥٤
(٥١) ديوان أبي الطيب المتنبي، أبو البقاء العكبري، ج١/٢٨٨
(٥٢) م. ن. ج١/٢٨٨
(٥٣) معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، ج٤ ص٧١
(٥٤) م. ن. ج٤ ص٦٩
(٥٥) شرح نهج البلاغة، المعتزلي، ج١٨ ص٣٠٦ : ح٤٧
(٥٦) م. ن. ج١٨ ص٣٠٦
(٥٧) ديوان أبي الطيب المتنبي، أبو البقاء العكبري، ج٤/١٢٤
(٥٨) م. ن.،٤/١٢٤
(٥٩) ينظر: شرح نهج البلاغة ج٤/٣٢٠
(٦٠) ديوان أبي الطيب المتنبي، أبو البقاء العكبري، ٢/٢٦٩
(٦١) م. ن. ٤/٢٠٩
(٦٢) ديوان أبي الطيب المتنبي، أبو البقاء العكبري، ج ٤/١٢٤
(٦٣) م. ن. ج ٢/٢٦٩
(٦٤) البخلاء، عمرو بن بحر الجاحظ، ص ٢٠-٢١
(٦٥) شرح نهج البلاغة، المعتزلي، ج٢٠ ص ٤٥٢
(٦٦) ديوان أبي الطيب المتنبي، أبو البقاء العكبري، ج ٢/٣٣٤
(٦٧) م. ن. ٢/٣٣٥
(٦٨) شرح نهج البلاغة، المعتزلي، ج١٦ ص ٢٦٢
(٦٩) هكذا في رواية ابن أبي الحديد بتقديم الجبابرة على الأكاسرة عكس الديوان.
(٧٠) م. ن. ٤/٣٣
(٧١) شرح نهج البلاغة، المعتزلي، ج١١ ص١٦٦
(٧٢) ديوان أبي الطيب المتنبي، أبو البقاء العكبري، ٢/٣٩٠
(٧٣) ديوان أبي الطيب المتنبي، أبو البقاء العكبري، ج٣/٨٦
(٧٤) م. ن. ج ٢/٣٩٠
(٧٥) م. ن. ج ٣/٨٦
(٧٦) شرح نهج البلاغة، المعتزلي، ج٣/٢١٠

(٧٧) م. ن.ج٣/ص ٢٧١
(٧٨) ديوان أبي الطيب المتنبي، أبو البقاء العكبري، ج٣/١٩٣
(٧٩) م. ن. ج٣/١٩٤
(٨٠) شرح نهج البلاغة، المعتزلي، ج٣ ص ١٦٨ خطبة ٥١
(٨١) ينظر: شرح نهج البلاغة، المعتزلي، خطبة ٥١ ج٣ ص ٢٢٤-٢٢٨ بتصرف.
(٨٢) ديوان أبي الطيب المتنبي، أبو البقاء العكبري، ج٤/٢٨١-٢٨٢
(٨٣) م. ن.ج٤/٢٨١-٢٨٢
(٨٤) م. ن. ج٤/٢٨١-٢٨٢
(٨٥) شرح نهج البلاغة، المعتزلي ج٢٠ ص ٤٤٩
(٨٦) م. ن. ج٤/٥٣٢
(٨٧) ديوان أبي الطيب المتنبي، أبو البقاء العكبري، ج٤/١٢٤
(٨٨) شرح نهج البلاغة، المعتزلي، ج١٨ ص٣٩٥ ح ١٣٩
(٨٩) م. ن. ج١ ص ١١٨خطبة الشقشقية
(٩٠) ديوان أبي الطيب المتنبي، أبو البقاء العكبري، ج٣/١٠٩
(٩١) م. ن. ج ٣/١٠٩
(٩٢) شرح نهج البلاغة، المعتزلي، ج٢٠ ص ٤٣٩ ح٢٠٨
(٩٣) ينظر: مائة شاهد وشاهد من معاني كلام الإمام علي (عليه السلام) في شعر أبي الطيب المتنبي، السيد عبد الزهراء الحسيني، ص٦٠
(٩٤) ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة، ج٢ ص١٥٨
(٩٥) ينظر: أساليب بلاغية، الفصاحة – البلاغة- المعاني، أحمد مطلوب الناصري، ص٢١١
(٩٦) ديوان أبي الطيب المتنبي، أبو البقاء العكبري، ج١/٣٨٠
(٩٧) ينظر: م. ن. ج١/٣٨٠
(٩٨) غرر الحكم ودرر الكلم، الآمدي، ج١ ص ٥٧
(٩٩) ديوان أبي الطيب المتنبي، أبو البقاء العكبري، ج٤/١٤٥
(١٠٠) م. ن. ج٤/١٤٥
(١٠١) ينظر: المنطق، للشيخ محمد رضا المظفر، ج١ ص٧٠-٧١ بتصرف
(١٠٢) شرح نهج البلاغة، المعتزلي، ج٢٠ ص٤٦٠
(١٠٣) ديوان أبي الطيب المتنبي، أبو البقاء العكبري، ج٤/١٧٤
(١٠٤) م. ن. ج٤/١٧٤
(١٠٥) بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، ج١ ص٩٧
(١٠٦) شرح نهج البلاغة، المعتزلي، ج١٨ ص ٣٣٦

المصادر والمراجع:

١. الإبداع والتجربة الروحية رؤية مغايرة، محمد الخالدي، الدار التونسية للكتاب، تونس، ٢٠١٥م.
٢. أساليب بلاغية، الفصاحة – البلاغة- المعاني، أحمد مطلوب الناصري، وكالة المطبوعات، الكويت، ط١، ١٩٨٠م
٣. الإمام علي (عليه السلام) من حبه عنوان الصحيفة، الشيخ أحمد الرحماني الهمداني، مكتبة الصدوق، إيران- طهران، ط١،

١٤١٧هـ.
٤. أمراء الشعر العربي، أنيس المقدسي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٩، ١٩٨١م.
٥. الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.
٦. بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، مؤسسة الوفاء، لبنان – بيروت، ط٢،١٤٠٣ هـ.ق.
٧. البخلاء، عمرو بن بحر الجاحظ، دار ومكتبة الهلال، بيروت – لبنان، ط٢، ١٤١٩هـ
٨. تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.
٩. التناص نظرياً وتطبيقياً، أحمد الزغبي، مكتبة الكتاني، إربد–الأردن، ط١، ١٩٩٥م.
١٠. خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، دار الشوق، بيروت، د. ت..
١١. ديوان أبي الطيب المتنبي، أبو البقاء العكبري، مطبعة مصطفى البابي وأولاده، مصر، د.ط، ١٩٢٦م.
١٢. ديوان أبي الطيب المتنبي لأبي العلاء المعري، عبد المجيد دياب، دار المعارف، مصر، ط١، ١٩٨٨م.
١٣. الرسالة الموضحة في ذكر سرقات المتنبي وساقط شعره، أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي، تحقيق د. محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ١٩٦١م.
١٤. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٨٥م.
١٥. شرح ديوان المتنبي، عبد الرحمن البرقوقي، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٤م.
١٦. شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان،ط١، ١٩٩٥م.
١٧. الشعر العربي المعاصر، عز الدين اسماعيل، دار الفكر، ط٣، بيروت، ١٩٧٨م.
١٨. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة، المكتبة العنصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ
١٩. علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، محمد أحمد قاسم، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس–لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.
٢٠. غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد بن محمد التميمي الآمدي، دار الكتاب الإسلامي، قم – إيران، ط٢، ١٤١٠هـ.
٢١. الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط٨، ١٩٧٤م.
٢٢. لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت– لبنان، ط٣، ١٤١٤هـ.
٢٣. مائة شاهد وشاهد من معاني كلام الإمام علي عليه السلام في شعر أبي الطيب المتنبي، السيد عبد الزهراء الحسيني، مؤسسة نهج البلاغة، طهران– إيران، ط١، ١٩٨٤م.
٢٤. مائة كلمة لأمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، شرحها ابن ميثم البحراني المصحح مير جلال الدين الحسيني الأرموي المحدّث، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.
٢٥. المتنبي بين ناقديه، د. محمد عبد الرحمن شعيب، دار المعاف، القاهرة، ١٩٦٤م.
٢٦. معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، عمان–الأردن، ط١، ٢٠٠٠م.
٢٧. معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة–مصر، ط١، ٢٠٠٨م.
٢٨. مع المتنبي، طه حسين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر– القاهرة، د.ط، ٢٠١٢م.
٢٩. مقدمة المناقب، الموفق الخوارزمي، مؤسسة النشر الإسلامي، إيران– قم المشرفة، ط٢، ١٤١٤هـ.
٣٠. المقدمة، عبد الرحمن ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.،
٣١. ملامح يونانية في الأدب العربي، إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٧م.
٣٢. من أفلاطون الى ابن سينا (محاضرات في الفلسفة العربية)، جميل صليبا، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت.
٣٣. المنطق، للشيخ محمد رضا المظفر، دار الغدير، إيران – قم المقدسة، ط٥، ١٤٢٧هـ.

المجلات:

٣٤. ما وراء المصطلح (التناص)، د. سلمان كاصد، مقال منشور في صحيفة الاتحاد، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٦م

International standard number
2617 -419x
Electronic classification number
26042
Accreditation number
In the Iraqi Journalists Syndicate
113/ for the year 2005
Website address
Republic of Iraq
Baghdad / Palestine Street
Near the Turkmen Brotherhood Club
National Center for Quranic Sciences
Communications
Journalwalqalam
07707935971
Email:
alwatnywalqalam@gmil.Com
P.O. Box: 33001

General supervision
Professor Dr Haider Hassan Al-Shammari
Head of the Shiite Endowment Officeeditor
Prof. Dr. Haider Abdel Zahra
managing editor
M.D. Rafi Muhammad Jawad Al-Amiri
Editorial staff
Mr. Dr. Talal Khalifa Salman
A. Dr. Omar Abdullah Najm Al-Din
Prof. Dr. Hazem Tarish Hatem
Prof. Dr. Hamid Jassim Abboud Al-Gharabi
A. M. D. Muhammad Kazem Kamer Al-Rubaie
A. M. Dr. Aqeel Abbas Al-Raikan
A. M. D. Ahmed Hussein Hayal
A. M. D. Qasim Khalif Ammar
A. M. D. Maha Mansour Amer
M.D. Maysoon Hassan Saleh Al-Husseini
Editorial staff from outside Iraq
A. D. Maha, good for you Nasser
Lebanese University / Lebanon
Prof. Dr. Khawla Khamri
Mohamed Al Sharif University / Algeria
A. Dr. Imad Ali Abdel Latif Ali
Qatar University/ College of Arts and Sciences
A. Dr. Muhammad Reda Sotouda Nia
Isfahan University/Iran